

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج -

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: العلوم الاجتماعية

مطبوعة في مقياس

مدخل للعمل

مستوى السنة أولى ماستر علم اجتماع التنمية

إعداد الدكتورة مفتاح نادية.

الموسم الجامعي: 2015-2016

الفهرس

الفهرس

مقدمة عامة أ-ب

المحور الأول: منهجية سوسيوولوجيا العمل.

تمهيد 4

1- الأطر المنهجية لدراسة العمل 6

2- تعددية أوجه العمل 8

3- نبذة تاريخية عن مناهج الدراسة 9

المحول الثاني: سوسيولوجيا العمل والعلوم الاجتماعية عند جورج فريدمان.

18..... تمهيد

19..... 1- العلاقة بين التقنية وسوسيولوجيا العمل.

22..... 2- سوسيولوجيا العمل والجغرافيا.

29..... 3- سوسيولوجيا العمل وعلم السلالات.

37..... 4- سوسيولوجيا العمل وعلم الاقتصاد.

40..... 5- سوسيولوجيا العمل والديمغرافيا.

47..... خلاصة

المحور الثالث: الحركة العمالية.

49..... تمهيد

50..... 1- رؤية ميشال كروزيه حول السوسيولوجية النقابية.

57..... 1-1- النظرة البنيوية

64..... 1-2- النظرة الوظيفية.

69..... 2- الحركة العمالية كعامل للتغيير.

74..... خلاصة

76..... خاتمة عامة.

79..... قائمة الملاحق

مقدمة عامة:

يشكل مدخل للعمل من أهم المواضيع التي يعالجها علم الاجتماع وهو من المفاهيم المحورية في اختصاص علم الاجتماع التنظيم حيث تطور ضمن التغيرات الاقتصادية التي شهدتها أوروبا، على الرغم من أن ظاهرة العمل ظاهرة قديمة قدم الإنسانية في الوجود وحصرت عليها كل الديانات السماوية وحتى الإسلام لم يتسنى منها بحيث قدس العمال في الشريعة الإسلامية.

إلا أن في العصر الحديث أدى تطور العمل في المجتمعات الغربية خاصة فرنسا إلى ظهور نوع جديد للعمل وفق معطيات فرضتها ظروف اجتماعية واقتصادية وحتى تكنولوجية وتزامن تطور العمل الذي أدخلت عليه تقنيات جديدة مع مجموعة من الأحداث في قلب أوروبا مثل تطور نقابات الإجراء ونشاطها في الساحة الصناعية بالإضافة إلى ظاهرة عمل أخرى وهي التي كانت تشغل في الخفاء أي مخالفة للقانون الموجود آنذاك، لذلك انصب اهتمام المنتظرين والمختصين لدراسة تطور العمل والاتجاهات التي اتخذها والنتائج التي ترتبت عن هذه الدينامية الجديدة في المجتمع الغربي والتي انتقل صداها لكل القارات فيما بعد خاصة أمريكا.

إن العمل إذن في مفهومه الشامل هو ذلك المجهود الإنساني الإرادي والواعي الذي يستهدف به السلع والخدمات لإشباع الحاجات، ضف إلى ذلك وعلى المستوى الاصطلاحي والعلمي إن صح التعبير فهو ذلك الجهد الحركي والطاقة التي يستنزفها الفرد من أجل إنتاج معين. لهذا اقترن مفهوم العمل بالإنتاج وبالحاجات، الإنتاج يكتسي طابعا مزدوجا إنتاج لمصلحة عامة أو خاصة بحسب طبقة العمل وسياسة العمل.

ونحاول في هذا المقياس البحث في الجهود التي قدمها العلماء حول هذا الموضوع كوحدة نظرية وبلورة جوانبها وتحديدها كدراسة للجماعات البشرية الشديدة التنوع من حيث

الحجم والمهام التي تتكون في إطار العمل وتأثير نشاطاته المتجددة وخاصة على مستوى التقدم التقني الذي وصلت إليه الآلة وما ترتب عنه من تحولات جوهرية مست البنى الاقتصادية لجميع المجتمعات.

ارتأينا أن نطلق مفهوم سوسيولوجيا العمل في هذا المقياس لتحديد الزاوية والاختصاص الذي يتناول ظاهرة العمل بكل أبعادها الديمقراطية، الساللية، الجغرافية والاقتصادية حيث أن جماعات العمل تحتاج إلى كل هذه الأبعاد ولا يقتصر فقط هذا المفهوم على الصناعة فقط بالمعنى الحصري بل يتعدى ذلك إلى جماعات العمل داخل المصنع ولذلك تناولناه بالمحاور التالية: بالنسبة للمحور الأول تم التعرض فيه إلى المنهجية التي تم بموجبها دراسة العمل وكذلك معالجة الأوجه المتعددية للمعالجة المنهجية أما بالنسبة للمحور الثاني فلقد تعرضنا فيه إلى سوسيولوجيا العمل والعلوم الأخرى المجاورة لها وذلك وفق طرح جورج فريدمان.

وفي المحور الثالث تطرقنا إلى الحركات العمالية وذلك كما أشار إليها ميشال كروزية وعالجها في تعرضه لوجهة نظر بنوية وأخرى وظيفية مشيرا ومركزا أكثر على البيروقراطية والسلطة هكذا أيبقي أن المدخل للعمل مدخل لا يمكن أن يعالج ليدخل في علاقة مع محاور أخرى تتداخل معه مثل القانون خاصة.

المحور الأول:

منهجية سوسيولوجيا العمل

تمهيد

- 1- الأطر المنهجية لدراسة العمل.
- 2- تعددية أوجه العمل.
- 3- نبذة تاريخية عن مناهج الدراسة.

تمهيد:

لقد ساهمت الجهود المبذولة في العلوم التجريبية بشكل كبير في تجديد المعالم المنهجية للباحثين أثناء دراسة الظواهر الاجتماعية خلال القرن الماضي خاصة في النصف الأخير منه، فعلى الرغم من الفجوة المنهجية بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية إلا أن جهود الباحثين انصبحت حول تكييف المنهج التجريبي لدراسة الظاهرة الاجتماعية بكل أبعادها.

كانت هذه الجهود قد توجت بإثراء طرق تحصيل المعرفة والمعلومة فيما يتعلق بالفرد والمجتمع وهي كذلك محاولة لضبط الحدود المنهجية للبحث العلمي الاجتماعي أو كما جرت الاتفاق فيه تسميته البحث السوسولوجي حتى لا يقع القارئ في اللبس والغموض من هذه الناحية.

يتناول البحث السوسولوجي ظواهر متباينة بدرجة كبيرة تحددها الأطر التاريخية والمكانية. أي الزمان والمكان الذي وقعت فيه الظاهرة.

إن العمل ظاهرة اجتماعية تحمل أبعاد اجتماعية واقتصادية وحتى سياسية وقانونية ومن ثم يمكن إخضاعها للدراسة وفق منهج علمي وذلك بالنقد والتحليل والاستنتاج حتى يمكن أن يتطور الاختصاص الذي يمكن بواسطته دراسته أنه: لولا النقد ما شب علم عن نشأته" كما قال الإمام محمد عبده.

يختفي وراء ظاهرة العمل وتطوره مشكلات اجتماعية أخرى جزء منها يرتبط بالفرد والجزء الثاني يرتبط بمكان العمل أو بيئة العمل. تجتاح فيها أطر مرجعية ونظرية يلجأ إليها سوسولوجي العمل في الدراسة والتحليل والتي تصبح بمثابة مسلمات ينطلق منها، فلا غنى إذن عن النموذج المرجعي والنظري في هذا المجال لأنها بمثابة مضامين تحدد خطوات العمل والبحث مع أن هذا غير كافي فإن سوسولوجي العمل يحتاج إلى خيال علمي يوجه به جهوده فلولا خيال نيوتن ما اكتشف قانون الجاذبية ولولا خيال اينشتاين ما توصلنا إلى قانون النسبية ولولا خيال آدم سميث ما توصل إلى افتراض وجود يد خفية تحرك آلة

الاقتصاد الرأسمالي، وعليه فإنه لا يجب أن نخلط بين الخيال والتأمل، فالأول افتراضي والثاني منطقي.

هكذا إذن فإن العمل كظاهرة اجتماعية وتقنية فإنها يمكن البحث فيها بشكل يحقق التفسيرات العلمية المقبولة.

1- الأطر المنهجية لدراسة العمل:

ليس الأمر سهلاً أو هيناً كما يظن البعض عند دراسة ظواهر العمل يعزلها عن بعض مظاهر الحياة الاجتماعية التي يسببها ولو جزئياً على الأقل ولكن ونحن نخوض في هذا الموضوع في هذا المحور ماذا نقصد بالمنهجية في هذا الأمر؟ هل يمكن إدخال تقنيات مقبولة؟ أم هل نكتفي بالمناهج المعترف بها؟

إن تعددية المساعي والتجارب واحتقالات في الطرح المنهجي والافتقار إلى معايير مقبولة من طرف الجميع، لذلك ونحن نبحث في منهجية سوسولوجيا العمل وفي الظواهر التي تدخل ضمنه لا بد أن نتوخى الحذر عندما نحصي المناهج والتقنيات المستعملة لفاعلية في تفسير الظواهر المتعلقة بالعمل سنركز هنا على المشاكل المنهجية التي نناقها في استقصائنا لسوسولوجيا العمل.¹

إلا أنه قد يحتج بعض الباحثون من وجود مسائل عديدة ومتنوعة في المنهجية يسودها الاختلاف مما يؤدي إلى عدم وضوح الرؤية²، لكن هذا لا يمنع من محاولة توحيد الرؤية العامة على المستوى المنهجي خاصة عندما يتعلق بالمسائل الأساسية ذات الاتصال بالإختصاص.

إن الوقائع التي تخضع للبحث، تتضمن بالتأكيد مميزات لا يجوز استبعادها بحجة أن الطرق المستخدمة أو المستعملة في مكان آخر لا تطبق جيداً ويجب غير صالحة للتطبيق وهذه المميزات هي التي تجبر الباحث أحياناً اللجوء استنباط مناهج إذا اقتضت الضرورة لذلك، هل تتوفر الظواهر التابعة للعمل والمرتبطة بها على هذه المميزات وهل تشكل مادة للبحث يمكن إخضاعها لمنهجية خاصة بها؟ أن يكون الأفراد في قلب اهتمامات علم الاجتماع ولهم غرض فيما لا يغير شيئاً من شروط البحث العلمي الذي يعود لهم. فلقد أنشأ

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، رسالة في سوسولوجيا العمل، ترجمة: بولاند عمانويل، ط1، ج1، منشورات عويدات-بيروت، 1985، ص38.

² رشيد زرواتي، تدريبات على منهجية البحث في العلوم الاجتماعية، ط4، دار زعلوش، 2012، ص 09

العلوم الفيزيائية لتكون تحت تصرفه ويستفيد منها مثل الرياضيات وإذا كانت الطبيعة قد افرزت الإنسان على صورتها فليس إن من الصعب تقديم التفسير لظاهرة من الظواهر على اعتبار أنهما من نفس البيئة، سواء كانت ذلك غاية أو وسيلة في مقدار ما يعمل الأفراد بمقدار يصبح سلوكهم حتميا بشكل مميز.

سنركز هنا على سلوك العمال-عمل الآلات-سلوك الأفراد الذين لا يعملون أبدا- سلوك العمال خارج العمل ويدرس أيضا نسبة إلى العمل المنجز.

حاول بعض علماء الاجتماع النظر إلى الأغراض الإنسانية والاجتماعية ووسائل العمل التي تسمح بالوصول إليها على أنها مفاعيل تفلت من نفوذ المنهجية العلمية، إذا دراسة المجتمعات خاصة أطر العمل التي تنبثق لم تسجل تقدما كبيرا أو حتى ملموسا إلا في المعايير العامة (أو الخطوات العامة في منهجية البحث) لذا دراسة العمل تقدم لنا برهانا نموذجيا على المعالجة الموضوعية والدقة العلمية.

مثال 1: مراقبة حركات عامل يدوي لا تفيدنا في شيء لمعرفة الأجر الممنوح له حيث لدراسة الأجر لابد من اللجوء إلى أساليب أخرى (طبيعة العمل-تصنيف العامل في الفئات السوسيو مهنية)

مثال 2: دراسة مصنع داخلي لا يمثل النشاط القومي بحيث نحتاج في هذا إلى مختبر يتمثل إما في محترف (مختص) أو دولة لإجراء الاختبار، ولخاصية العلاقات بين الظواهر المتقاربة والمتشابهة يصبح **تدخل النماذج البنوية** أمرا ضروريا على الرغم من أن هذا يشكل سببا للشك عند الذين يؤيدون السوسيوغرافية العلمية والذين يخافون من كل ما هو تحليلي استنتاجي ولصعوبة احتواء الظاهرة الاجتماعية بصورة كلية لابد من اللجوء إلى **نماذج بسيطة** نتوصل بها إلى شروط الشمولية¹، ولكن بشرط الانطلاق من مستوى معين ولذلك عند دراسة ظواهر العمل بكل جوانبها وفق طرق منهجية خاصة تمكنا من توفير

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، مرجع سابق، ص 41.

الشمولية في عملية البحث لنقترب أكثر إلى الواقع وهكذا تحقق المنهجية شرط التحديد **والمعالجة بالملاحظة المباشرة** إلا أنه ليس من السهل اختيار الطرق الصحيحة والمقبولة على المستوى المنهجي خاصة في معالجة **الجماعات** وبالأخص عند دراسة **الوظائف والبيانات** وذلك بالاستناد إلى المبادئ العلمية، فالوصف الحسي يتطلب منا العودة إلى الفيزيولوجيا بينما عند دراسة أو الكشف عن الآراء الشخصية فإن اللجوء إلى البيانات الإحصائية عن طريق اختيار المتغيرات المراد دراستها خاصة منها المتغيرات المستقلة، هذا طبعاً يعود إلى **طبقة المؤسسات** التي ندرسها وليس إلى **المنهجية المستخدمة**.

2- تعددية أوجه العمل:

إن تحديد العمل بحد ذاته يفلت من كل منهجية إذ يطرح أمامنا هنا الطرح والنقيض والإقرار فيما إذا كان هذا فرع من فروع علم الاجتماع وإن كان استنتاجياً أو استقرائياً أو تجريبياً أو عبارة عن مزيج لكل هذا أو الاضطرار اللجوء إلى اختصاصات مثل علم الاقتصاد عند دراسة مثلاً نظرية الاستخدام ومفهوم المهنة والحرفة أو اللجوء إلى التاريخ عند دراسة مثلاً استخدام اليد العاملة أو حتى من علم الوراثة والتطورية.

فالبحث مثلاً في وصف القوى العاملة في الفترات الأكثر إنتاجية وبأنها فئات كبيرة مثل التقسيم المهني، التصنيف، الجنس، العمر والجنسية، نحتاج في ذلك اللجوء أو استخدام المقدار البسيط والإحصائيات الأولية على الرغم من عدم كفايتها للتحليل، أما عند دراسة هيكلية المؤسسة وتشابك العلاقات يمكن البحث في أكثر من زاوية بحيث يمكن التقرب من علم الاجتماع وعلم النفس والتقصي للحقائق عما يقوم به البسيكو-سوسيوولوجيون والبسيكو-تقنيون.

أما دراسة العلاقات مع المصانع الوطنية والدولية والطبقات الاجتماعية يتطلب منا اعتبار المجموعات من زاوية الاقتصاد السياسي التقليدي إذن يمكن الجزم أن العمل أصبح ظاهرة قارية وأيضاً ظاهرة كونية دائمة الوجود، فالإحصاء مثلاً لا يسهل علينا فهم شخصية العامل لكن علم النفس والفيزيولوجيا وحتى الطب التطبيقي يستطيع فعل ذلك أي فتح المجال

أثناء عملية البحث في تقديم ما يمكننا فهم ذلك، في حين دراسة التطور التقني تدفعنا للاستعانة بالتاريخ والتكهن بالاستناد كذلك إلى التحليل الوصفي فالمؤسسات إذن والقانون الذي يسود فيها هي حقائق اجتماعية أساسية ويقوم لنا بذلك قانون العمل بكل أسسه ومحتوياته منها كل سيكيا تنطوي تحته علاقات قوى متنوعة في حين نماذج الأجور نعتمد في البحث على الوصف والتحليل الوظيفي.

3- نبذة تاريخية عن مناهج الدراسة:

لقد بدا المعمل يشير اهتمامات المجتمع منذ أمد طويل خاصة ما تعلق بالمنهجية بين الشعوب ذوي التقنيات الزراعية أو الحرفية البدائية باستثناء فترة ما قبل التاريخ الذي يصلنا عنها شيئا على هذا المستوى فأثناء الحياة القبلية العائلية والطقسية كانت تخط ما بين ممارسيه العبارة والطقوس، بين النشاط الاجتماعي والوظائف الإنتاجية حيث أن هذه الأعمال لم تكن تخضع لأشكال تقييم العمل "المتطورة ولم يكن ليدرس بمعزل عن غيره من الممارسات الأخرى التي تتداخل معه وكان ينظر إلى العمل عند الصين والهند ومصر القديمة على أن العمل إرهاق وغل ذلك ضمن الطبقات الشعبية وطبقة الحرفيين.

فاكتسب هذا المفهوم مكانة معينة في الحياة المجتمعية وأدى إلى بعض التحديدات وبعض الأحكام واكتفت هذه التحديدات على جعله ينطوي على تصنيفات تنظيمية لأن التقنية لم تكن مصقولة مما تحتم فحسا للإمكانيات والكفاءات المميزة وحتى المهن الصناعية الأولى كان يشبها الغموض ومتطلبات الأعمال الزراعية دون ذكر النشاطات المتعلقة بالأمن والدفاع والدين هذا ما جعل العمل غير منفتح ولم تقام دراسات خاصة به، لذلك لا عجب أنه ما ينقل إلينا اليوم عن ذلك العمل في الروايات المكتوبة أو حتى المحكية انحصر في تعداد الأدوات الخاصة بالعمل أو المواد الأولية أو حتى المنتوجات وطبيعتها وقوائم أو لوائح خاصة بالمهن أو الوظائف التقليدية في المجتمعات ذات الكيان المحدد أين

ترتبط فيما بينها الجماعات وفق ثقافة مشتركة¹، لذلك جهود المؤرخين لم يكن يتجه في هذه الناحية على الرغم من البحث فيما قد يؤدي إلى نتائج إيجابية حول العمل وقد تكون أيضا مثمرة في معالجة ظاهرة العمل.

أما عند حضارات البحر الأبيض المتوسط (اليونان والرومان) فلقد وصلنا بعض الأعمال كإثبات للاهتمام بالعمل لتطوره مثل فن الإيجار (الملاحق) والأعمال المتعلقة بالتجارة والزراعة وكذلك، فنون الحرب بشكل خاص، نجد في هذا الجهود التي قدمها أفلاطون وأرسطو تناولا للنشاط العملي وحتى العمل في حد ذاته إلا أن التحليلات التي قدمت من كرفها حول هذا الموضوع بقيت خاضعة لمنهجية اجتماعية غير علمية، ولذلك صنفت في ذلك الزمان الأعمال إلى "العمل مذل" وإن الحرفيين، جماعة محصورة في سلسلة من النظم ترعى ركودها، إما الألعاب والحرب وممارسة العمل الفكري والسياسة فهي نشاطات لا تتعلق بالعمل وبقي العمل اذن محصورا ضمن قواعد قميعة وممارسات نفعية ولم تكن محل اهتمام الأبحاث الجدلية والتقنية المتعلقة بالعلم وعلم الأخلاق، أما عن النشاطات الاقتصادية فلقد انتشرت في البيت ونظر إليها أرسطو وكزينوفون ذات منشأ سياسي وليس انتظاما تعود جذوره إلى العمل، تواصلت الأبحاث مع الجهود التي قدمها أرخميدس Archimède (أرخميدوس) حينما وضع مبادئ الممكنة وتوازن السوائل دون أن يتصور أن هذه الجهود أدت إلى إنشاء آلات الإنتاج، وبعد ما كانت مجرد أدوات للحرب والزراعة أصبحت وسائل العمل الصناعي الأساسية، أما ما تعلق بالعمال فلا حاجاتهم ولا ظروفهم ولا حتى طموحاتهم شكلت هدفا للأبحاث المنهجية.

أما الفلسفة كمجال للبحث لم تكن تخوض في المواضيع ذات الطابع الفكري ومع كل هذا ففي نهاية الامبراطورية الرومانية²، أصبح العمل الحرفي والأشغال العامة والحربية،

¹ بوتومور، تمهيد في علم الاجتماع، ترجمة: د.محمد الجوهري، د.علياء شكري، د.محمد علي محمد، د.السيد محمد الحسن، دار المعارف، 1982، ص 187.

² جورج فريدمان، بيار نافيل، مرجع سابق، ص 45

تظهر في بيزنطة والصين مواضيع لكتب ستتقل إلينا عددا من المعلومات تعود في الأصل إلى علم التكنولوجيا أكثر منها إلى دراسة العمل في حد ذاته.

ولقد ساعد انتشار المسيحية وعقائدها قبل العصر الإقطاعي رافقة تغيرات في أوضاع العمال الذين تجمعوا في قرى ومناطق ريفية بمعنى مجتمعات ريفية إلا أن شروط عمل الفلاحين والارتقاء وعمال المقطوعية والحرفيين لم تعني بالدراسة والبحث عن كتب وساهمت المسيحية كعقيدة طوال القرون الوسطى يتمثل في الأسلوب الجديد في التأمل في العمل وليس منهجية جديدة في الدراسة وبذلك أصبح العمل في المسيحية ينظر إليه عاملا أساسيا معترفا به في المجتمع.

يعود الفضل في تأسيس مفهوم العمل إلى توما الإكويني الذي استفاد من رصيد اقتصادي وقانوني استمدتها من الأعمال الخاصة بأرسطو، وأصبح الفهم للعمل عقلاني إكويني مقرون بممارسة الحسابات، في حين من قبله نظر إلى العمل من الزاوية الأخلاقية والدينية وما ساعد العقلانية الإكوينية في ذلك التقنيات الاقتصادية والمهنية التي انبثقت عن الصناعة الحرفية والبورجوازية ودرس العمل في اتجاه جديد وبوضوح وشمولية أصبح مادة للعلم وبرز دوره في الجماعة وأعيد النظر إلى العمل وتقديره وأصبحت جهود النظريات مثل "ألتمن العادل"¹ وحقق شوطا كبيرا وجهدا يستحق التأمين وذلك بظهور أسلوب جديد للبحث في العامل والعمل وتوضحت أكثر فيما بعد مع جهود غاليلي وبيتي فيما يتعلق بتأكيد مقياس العمل الآلي من خلال التجربة الدقيقة وأصبح العمل العضلي والحركي ممثلا للعمل الآلي واستخدم بيتي اكتشاف قاعدة قياس الأعمال أساسها اقتصادي ثم أضافت بعد ذلك له الاختراعات الكثير والبحث فيه بشكل موضوعي وتطور مفهوم العمل مع ظهور الاقتصادي الكلاسيكيين أمثال "آدم سميث" على الرغم من أن الصراع الفكري ما بين المفاهيم العقلانية الخاصة بالعمل والمفاهيم العلمية بقي مستمرا على الساحة الفكرية إلا أن البحث العلمي

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، مرجع سابق ص 47.

* يقصد بالأساليب ما وصلت إليه التطورات العلمية فيما تعلق بالأساليب التقنية والنفسية.

أصبح أمرا شرعيا ومقبولا وتطورت بذلك شروط العمل سواء كانت آلية، فيزيولوجية وحتى مناخية، بدأ بغاليلي إلى فوزية وكزون فيما بعد وانفتح المجال في القرن 19 بدراسة مردود الجسم الحراري حيث خضع ذلك للمقاييس الدقيقة واتجهت الدراسات فيما بعد إلى الاهتمام بمجهود العامل بنفس الدرجة التي تدرس فيها الحالات الفردية المرضية أو العادية وبذلك نشأ اختصاص ما يسمى بـفيزيولوجيا العمل تدريجيا وأخذت تتوسع الدراسات فيه سواء في المخابر أو حتى في البيئة ثم الانتقال للاهتمام من الشروط المادية والوظيفية إلى الشروط النفسية والاجتماعية والأخلاقية للعمل والتي قام بها كابانيس كخطوة عملية في البحث أما في نهاية القرن التاسع عشر وكل الأساليب* ثم جمعها في عنوان "علم العمل" ثم التركيز فيما بعد على التفاصيل المتصلة بالعمل حيث استخدمت الملاحظة والتجربة وتم في هذا المجال دراسة جهاز الإنسان في العمل كما يدرس جهاز الحيوان، دليل يؤكد تطور مستوى الأبحاث على هذا المستوى.

سمحت لنا هذه الجهود في الأبحاث التعرف على الشروط الآتية والحسية والفردية للعمل (خاصة ما تعلق بالعمل اليدوي والمادي) وساهمت جملة من الإحصائيات والتقارير والكتب والمقالات الصحفية والمحاضرات **لوحة العمل الاجتماعية** وهي لوحة كانت قائمة في بداية القرن 19 م لسمع صوت العمال للمرة الأولى في شكل احتجاج وعصيان وساهمت الأحداث المتراكمة الشوائب التي كان يتضمنها العمل قبل تعميم استخدام الآلة.

وتبقى الإحصاءات العمالية التي أجريت في القرن 19 م النصف الأول ولغاية اليوم مرجعا أساسيا من حيث تقديم المعلومات وأكملت امتدادها من خلال التنظيمات مثل التنظيمات التي اهتدى إليها **لوجلاي** كأول مثال للأسلوب الإحصائي الأحادي الموضوع والتي مازال يستخدم إلى غاية اليوم حيث استخدمه العلماء في دراسة الشعوب القليلة التطور وأيضا استفاد منها فيما بعد الكتاب الاشتراكيون.

-كانت الاكتشافات التي قام بها بيتي تتضمن أساسا دراسة مغايرة للعمل أكثر تجديدا

وتبشيرا بمستقبل زاهر في هذا المجال بحيث:

1-نظر بيتي (وهو مضارب عقاري، إداري، نفعي، عالم ومنقب) إلى الوظائف المهنية وإلى العمل نظرة مقارنة واجتماعية وطرح تساؤلات حول العامل المشترك بين مختلف الأعمال؟ وإلى أي مدى معياري تقليصي إلى أنه لم يستطيع أن يجيب عن السؤال كما أثبتته التجربة من خلال مقارنته المباشرة والنوعية للأفراد في العمل كما بقيت بعض النشاطات صعبة التحديد عند بيتي كما هو الشأن كـنشاط البحار ونشاط التجار ونشاط المزارع الذي اهتم بهم بيتي بشكل واسع.

لجأ إذن إلى استخدام التقديرات الكمية حتى يستطيع دراسة هذه الظاهرة وفق منهجية استنتاجية تقربه من الطرح الذي قدم ممن خلفه سميث، ريكاردو وكارل ماركس.

2-لقد اعتبر كم يساوي أحد الأفراد بالنسبة إلى غيره (مثلا البحار بالمقارنة مع المزارع)¹ ووضع لوائح قيم ثم حاول قياس هذه القيمة بمقياس الزمن ولقد ساهم بذلك في تأسيس حسابا يوجد في الاقتصاد السياسي الكلاسيكي والماركسي.

2- لقد ساهم بيتي في إنشاء أول تعداد إحصائي الهدف منه ليس بشري فقط وإنما إنشاءه نظرية علم الحساب السياسي وذلك لمعرفة مفاعيل العمل على الاقتصاد (خاصة:الإنتاج-التبادل-الاستهلاك) ولقت هذه النظرية نجاحا كبيرا خاصة على المستوى المنهجي وأصبحت أساس الدراسات المتعلقة بسوسولوجيا العمل.

3- كان بيتي أول من استخدم الإحصاء (تعداد مازال بدائيا) وأيضا هو أول من استخلص النماذج الخاصة بنية الشعب العامل ثم لاحقا قام "ماهو" ولافوازييه حيث أرجعا العلاقات بين توزيع طاقات العمل الاجمالي إلى معيار واحد هو وقت الانكباب على العمل وإنتاجية العمل والتداول ومضاعفة المنتوجات.

4- استطاع إذن بيتي فتح الطريق أما الاقتصاد السياسي الذي أصبح فيما بعد علما قائما بذاته.

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، مرجع سابق، ص48.

حاول الفيزيوقراطيون والكانتينيون الاستفادة من النماذج كلائحة كيزني الاقتصادية التي تهتم بتفسير الإنتاج والتداول الاقتصادي، لقد اكتشف هارفي أن العمل هو عصب الاقتصاد الذي يصب في الكيان الاجتماعي كالدّم في جسم الإنسان.

فهم يعتبرون العمل كتلة، مبدأ شامل وحدة كبيرة ولهذا يرون في شكل الإنتاج ما هو إلا تطبيقا وعلى المواد الأولية وهي مواصفات العمل النوعية وهي ملمة جدا للسياسة. ومع كل هذه الجهود فإن المنهجيات التي خاضعت في موضوع العمل تشكل إلى حد الآن مادة للمناقشة.

لقد انبثق أيضا ضد هذه المنهجية المجردة تيارا فكريا مع كوندياك وجالياني خلال القرن الثامن عشر بالاعتماد على المنفعة الشخصية في دراسة المفاعيل والشروط في العمل والشيء الموضوعي الذي جاءت به هو قياس درجات المنفعة الفردية والمنتجات وذلك بمعالجة درجات المنفعة رياضيا وأخذت إجراءات العمل المباشرة مكان الإجراءات الغير مباشرة في مفاعليه على الحاجات المشتركة وهي أيضا منهجية مجردة أدى التجديد الرياضي دورا غالبا فيها وانتشر هذا التيار وأصبح له الكثير من المؤيدين.

مع كل ذلك، عرف موضوع العمل دفعا في مجال منهجية إثرائه لأنه أصبح من المشكلات الأساسية والمحورية في المجتمعات الصناعية وتوسعت بذلك الأساليب لمعالجة الظواهر المرتبطة به في مجال البحث الاجتماعي، وتأسس منهج للعمل بمعناه الواسع، أي كمسار شامل للفكر¹ على الرغم من المفارقات التي وردت في كتب عديدة.

عند الحديث عن منهجية سوسيولوجية العمل فإنه يقودنا الحديث أيضا إلى البحث في العلوم الاجتماعية بشكل عام في إطار ما يسمى بالتكوين المنهجي²، والتي تهمننا بشكل كبير لأننا بصدد مناقشة قضية البحث العلمي، والدرجة التي يمكن بموجبها إدخال ظاهرة

¹ ريمون كيفي، لوك فان كامبنهود، دليل الباحث في العلوم الاجتماعية. تعريب: د. يوسف الجباعي، مكتبة الأسد، دمشق، د.ت، ص 17.

² Rymond, quivy, luc van campenhoudt, manuel de veclierche en science sociales, dunod, 2^{eme} édition, paris, 1995, page 07.

العمل في هذا السياق على الرغم من أن مشكلة المنهجية كانت مطروحة في وقت ما، بالإضافة إلى خصوصية الواقع الاجتماعي ومسائل أخرى تعتبر من أسباب النتائج كون الناتج في علم الاجتماع احتمالي، من هذه تعقيد الظاهرة الاجتماعية وعدم القدرة على معرفة جميع عناصرها¹، حيث أن أكثر هذه العناصر ترتبط بالإنسان "الفرد الاجتماعي" إن يصعب التحكم ببعض ما يرتبط بميوله وأحاسيسه وهي التي قد تجعل المسائل المنهجية صعبة التطبيق عند بعض المستويات.

حتى نشاطات العمل تؤدي إلى نتائج متنوعة وفي احتمالات أيضا متعددة هذا الذي سمح بتعدد وجهات النظر على الرغم من أن الأمر يتعلق بظاهرة واحدة ولكن تفتح المجال للمعالجة من زوايا متعاقبة ومتعددة مع أن الأمر في النهاية يقودنا إلى الظاهرة الإنسانية الإجمالية.

ولكن ما يهنا من تعددية الزوايا في المعالجة هو التقارب الممكن لتكوين نظرة متكاملة لظاهرة العمل للترابط ببعض الجوانب المتعلقة بها.

إلا أن الأمر الذي يدفعنا إلى بذل الجهود في سياق يجعل من الأفكار المتشعبة والاختلافات الواردة كما أشار إليها جورج فريدمان حول مسألة المنهجية في دراسة ظاهرة العمل هو أن ثمة قواسم مشتركة في مناهج البحث على اختلاف أساليب البحث والمداخل المنهجية التي ينطلق منها سوسيولوجي العمل.

حيث يتمثل القاسم المشترك في الظاهرة في حد ذاتها والذي تصب فيه جهود الباحثين في هذه العملية التي تهدف الوصول إلى الحقائق العلمية وأيضا يعتبره هؤلاء وسيلة -أي المنهج- للدراسة واعتناء الباحث بنوعية وخصائص البحث²، لذلك تعتبر ظاهرة العمل مجالا واسعا يمكن إخضاعها للبحث وفق المعايير والإجراءات المنهجية المتفق عليها، فيكفي أن يتوفر مبدأ من مبادئ وظائف البحث العلمي والمتمثل في التفسير كوظيفة أساسية للبحث

¹ أ.د. إبراهيم عيسى عثمان، مقدمة في علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، الأردن، 2008، ص 36.

² صلاح مصطفى الفوال، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، مكتبة غريب، د.ت، القاهرة، ص 32.

العلمي حيث يتجاوز الباحث هنا مرحلة الوصف بمعنى التعدي للفهم السببي مما تخضع هذه الظواهر للقابلية للتحقق وكذلك إمكانية التحكم في مسار البحث وتوجيهه لتحقيق أهداف المجتمع.¹

يكفي إذن أن نستدل بما قدمه جورج فريدمان من تحليل في هذا المجال للجزم أن الاختلافات المنهجية لم تكن نقمة بقدر ما كانت نعمة على مجالات البحث في سوسيولوجيا العمل وكل الظواهر المرتبطة والتي تتجه إلى اختصاصات أخرى تتداخل بشكل قوي مثل الاقتصاد، علم اجتماع العمل، علم النفس العمل والقانون.

إلا أن تطور الإحصاء جعل من الظواهر الاجتماعية وظاهرة العمل مجالاً للتطبيق وفق أساليب تحقق الفعالية العلمية والدقة على الرغم من نسبتها.

¹ محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي، المفاهيم، المناهج، الاقتربات، الأدوات، القاهرة، بيت الحكمة، د.ت، ص

المحور الثاني

سوسيولوجيا العمل والعلوم الاجتماعية عند جورج فريدمان.

تمهيد

1- العلاقة بين التقنية وسوسيولوجيا العمل

2- سوسيولوجيا العمل والجغرافيا

3- سوسيولوجيا العمل وعلم السلالات

4- سوسيولوجيا العمل وعلم الاقتصاد

5- سوسيولوجيا العمل والديمغرافيا

خلاصة

تمهيد:

تشكل العلاقة بين سوسولوجيا العمل والعلوم الاجتماعية الأخرى حفلة تواصل بين علم الاجتماع واختصاصاته التي من بينها علم اجتماع التنظيم والعلوم الأخرى التي تشكل المجال الذي يمكن من خلاله تفسير هذه الظاهرة التي ترتبط ارتباطا منطقيا بالفرد الإنسان العامل، بمعنى المجالات المشتركة التي تفسر لنا التقارب من عدمه، فإن كان العمل نشاط يقوم به الفرد من أجل إشباع حاجاته الأساسية البيولوجية والاجتماعية فإن الجغرافية والاقتصاد والديمقراطية مجالات ينشط فيها الإنسان وتبقى العلاقة وثيقة بينها وبين العمل، إن لم نجزم أنها من الحقائق الثابتة والتي تفترض البيئة والحياة والمجتمع الإنساني وعليه فالمجتمع الإنساني يتطلب تسخير ما يحيط به من أجل الاستمرار، ولقد توصلت العلوم الاجتماعية في إحائها أن البيئة تتدخل في تشكيل حياة الجماعة واكتسابها طابعا تتميز به. إلا أن النية لا تقدم شيئا إذا لم يكن الإنسان مؤمنا بأن العمل هو الذي يحقق له الغاية وما وصلت إليه المجتمعات من تكنولوجيا ما هو إلا ثمرة جهد إنساني استمد ما تزخر به الطبيعة لخدمة الإنسانية ولتوضيح مدى العلاقة بين العمل وبعض الاختصاص في العلوم الاجتماعية جاء هذا المحور لتحقيق هذه الغاية، وذلك بالاعتماد على علم السلالات والجغرافيا والاقتصاد والديمقراطية.

1- العلاقة بين التقنية وسوسيولوجيا العمل:

لسنا هنا بصدد مناقشة العلاقات ما بين سوسيولوجيا العمل والعلوم الأخرى التي تطورت منذ بداية القرن بين علم الاجتماع ومختلف العلوم الاجتماعية الأخرى لكن الذي يهمننا هنا مجالاتها المشتركة تكاملها وإنما تقاربها ومناهجها.

إن الحقيقة التي تنطلق منها هنا أن كل مجال من هذه المجالات يتناسب مع أسلوب معني لفهم الواقع (إما وجهة تقنية، الفيزيولوجية، النفسية، الاجتماعية والاقتصادية) ويمكن أن نضيف إلى هذا وجهات أخرى (تاريخية، جغرافية، إنثية، ديمغرافية، وقانونية) لنترك جانب الفيزيولوجيا الناجمة عن البيولوجية على رغم من تلاقيها مع علم الاجتماع في حقل فيزيولوجيا العمل الذي نمت منذ بضعة عقود¹.

إن نشاطات العمل نماذج عن العلاقات السببية المتبادلة بين الديمغرافية من جهة والإثنية والاقتصاد والجغرافيا البشرية من جهة أخرى وعليه فالسلوك ضمن جماعة عمل معينة، مثل: أعلى نسبة في الإنتاج ومعدل الغياب، والإضراب، مرتبط بمتغيرات تعود للعلوم الإنسانية المذكورة سابقا.

أ- **التقنية:** إن كل عمل يخضع لشروط تقنية، فالخراط في مشغلة يتوفر مخرطة من نمط معين تعمل بسرعات محددة وترافقها مجموعة من الأدوات التي تؤمن الاستمرارية في الخضوع لها وتفرض مراكز معينة، والتوازن والانتشار بين أعضائها لذلك فكل عمل بدءا من العمل الحرفي في العصر الحجري الذي ينحت رمحا من الصوان، وصول إلى عمل مراقب الحاسب الالكتروني يفترض مجموعة من الشروط التقنية المتشابهة تقريبا، أي مركز عمل كمصنف الشعر وطبيب الأسنان لهم مراكز عملهم ومن أدوات يستعملونها.

لذلك دراسة الأدوات والآلات التي يتكون منها مركز العمل هي من اختصاص علم التقنية ولذلك لسوسيولوجية العمل روابط وعلاقات حتمية، وتدريب العامل على مركز عمله

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، مرجع سابق، ص 57.

(التقنية) هو انشغال حديث في المجتمعات الصناعية ظهر بشكل تدريجي لأسباب صحية ونفسية وذلك من أجل (الانتقاء والاكفاء) واقتصادية لكمية الإنتاج ونوعية تفاعل بشكل أو بآخر.

ب- **تحديد العلاقة بين التقنية وسوسيولوجيا العمل:** لدراسة العمل لا يمكن أن نستغني عن معرفة الشروط التقنية فمنذ نشأته ومرورا بالحقبات التي تتطور فيها ووصول حتى تالية (هذه المرحلة التي ألغت أشكاله التقليدية) فالعمل يتسجل ضمن بنية الإدارة أو الآلة فالتقنية تهدف إلى دراسة الآلة وطريقة استخدامها لذا لا بد من النظر إليها على أنها علما اجتماعيا ووفق نظرة شاملة¹.

وبتعرضها للعمل من الناحية الخارجية أي كشيء تلجأ التقنية إلى استخدامها مفهوما اجتماعيا تقليديا إذا إنطلقنا من المنظور الدور كايمي (type dur kheimein) وبمعرفة الإدارة أو الآلة وأساليب إنتاجها، تساعد على فهم أشكال العمل وتنوعها إلا أنه لا تفهم التقنية دون بعدها الاجتماعي فالآلة الأكثر بساطة والأسلوب الأكثر تخلفا لا معنى لهما إلا بين أيدي الجماعات التي تلجأ إليهما وأشغال الإدارة والأسلوب لا يتحقق خارج إطار بعض الشروط الاجتماعية التي تسمح بالانتقال من المفهوم النظري إلى المفهوم التطبيقي² وإن اجردت من هذه الشروط فقد تبقى منتطرة (جدوى منها) من حيث العمل التطبيقي هذا الذي نتحدث فيه عن الاختلال الاجتماعي للتقنيات لذا فأبعاد التقنية الاجتماعية هي أيضا أبعاد زمانية تاريخية.

هناك إذن تأثير للتقنيات والعوامل الاجتماعية متبادل ينسج روابط بين التقنية وتاريخ التقنيات من جهة ومن جهة أخرى وسوسيولوجيا العمل فأرسطو برر استبعاد باستحالة تشغيل المكوك من تلقاء نفسه كما ذهب الماركسيون إلى الحديث عن تأثير نمو التقنيات على بنية المجتمعات بحماس كبير جدا حيث أكد ماركس في صفحة شهيرة من **الفقر**

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، مرجع سابق، ص 77.

² نفس المرجع، ص 77.

الفلسفة" وفي أول تأمل له عن الاشتغال الآلي في حينه أن الطاحون الهوائي أعطانا مجتمعا اقطاعيا، أما المطحنة البخارية فأعطتنا مجتمعا صناعيا رأسماليا¹

هذا الذي يعني أن التقنية لها بعدا اجتماعيا وتاريخيا وهكذا أكد ماركسيون آخرون فيما بعد تأثير العلاقات المتبادلة بين التطور التقني والتقدم الاجتماعي، وبفضل الأعمال التي قدموها مثل كوسمان وما قدمه نتمتع اليوم بنظرة أكثر وضوحا.

لقد سلط الضوء مارك بلوخ (بلوش) 1926-1927-1935 على العلاقات المتداخلة حول الارتقاء والسيطرة لدى المطبخة المائية التي عرفت في القرون الأولى وقبل المسيح في الشرق الأوسط ثم إنتشرت بشكل بطيء في أوروبا بسبب كلفة القوة المحركة الحيوانية والبشرية الضعيفة مثل... وضع المكننة بشكل ضعيف في الضاحية الباريسية حيث اليد العاملة الاحتياطية كبيرة (جيلبر وانسانبير 1956).

إن تخلف الاختراعات التقنية الحاضرة نظريا والتي يتأخر تطبيقها لأسباب إجتماعية هو أحسن الأمثلة لتوضيح تدخل العوامل الاجتماعية في تاريخ التكنولوجيا مثلا كان يجوز أن يكون استخدام بعض الآلات مرفوضا لأسباب اجتماعية.²

هكذا كان لعدد المكنة البخارية الصناعية الغربية في حين كانت الأنظمة الإقطاعية تنهار في كل مكان ولذلك يمكن القول أن التقنيات الآلية سابقة غالبا للمؤسسات الاقتصادية السياسية والنقابية. لقد ضاعفت حركة التغيرات التقنية المنتشرة تلك المتصلة بالمجموعات الكبيرة من تأثيراتها على البنية والحجم والأهمية لجماعات العمل أي ما تعلق بالمصانع والورش والمكاتب في المجتمعات الصناعية.

فأنواع القيادة والسلطة وأدوار الكوادر من مختلف المستويات وتوزيع الوظائف بين المحترفات والمكاتب ودرجات الكفاءة والمواقف النقابية وغياب أو ميوعة العمل تعود كلها إلى أساليب المكننة ونماذج توزيع المهام وطرق عقلنة العمل العلمي وتنظيمه فعلى الرغم من

¹ كارل ماكس، يؤس الفلسفة-الفصل الثاني، ما وراثيا الاقتصاد السياسي، باريس، ف-جيارد وبيرار، 1908، ص 156.

² جورج فريدمان، بيار نافيل، مرجع سابق، ص78.

أن التقنية ليست العامل الوحيد للتفسير والتأويل لان عملها مرتبط بشبكة من الأحداث الاقتصادية والنفسية والديمغرافية والثقافية ولكن ما ارتبط بالجوانب الاجتماعية فهي دقيقة حتى أن كل تغير في احداها يؤدي الى انعكاسات على الأخرى.

*كما يساهم الحدث التقني كموضوع للتكنولوجيا بقسط وله أهمية خاصة في سوسيولوجيا العمل بحيث تحتاج التكنولوجيا إليها وإلا فإنها تصب في تنظيم علمي غير صحيح وبذلك فالتقنية التي تطبع العمليات الصناعية تبقى ظواهر انسانية طالما أن دور الانسان في الإنتاج لم يبلغ نهائيا إذ يصعب تحديد البيئة منذ بدأ السلالات إنما يشمل تحولها بواسطة العمل البشري.¹

2- سوسيولوجيا العمل والجغرافيا:

إن التاريخ قد أدخل الأطر الزمنية إلى سوسيولوجيا العمل فالجغرافيا تقودنا إلى ذكرها بإطار مكاني للعوامل التي تدرسها لذلك تتعاون سوسيولوجيا العمل مع الجغرافية البشرية أصبح ضروريا من زاوية الانتظام الاقليمي والمشاكل التي تثيرها إعادة إنشاء المصانع واللامركزية والهجرات وانتقال العمال جعلت للإطار المكاني دورا اعتبره البعض باطلا بسرعة.

لقد جرت عدة مناقشات حول الجغرافية البشرية بين علماء الجغرافيا أمثال لولانوه سنة 1949 منذ وضع فيدال دهلا بلاشي مبادئه وفتح الطريق أمام الأعمال الأخرى وذلك من خلال بعض الأبحاث التقليدية التي قام بها تتم فيه النشاطات البشرية ضمن المكان بعبارة أخرى هو البيئة إلى بيولوجية كليا بل يمكن تحويلها بواسطة العمل البشري

-البيئة: نقصد هنا تحديد البيئة حيث ندعو البيئة الطبيعية نسبيا تلك التي تخص المجتمعات التقليدية وبالتالي هي بيئة بعيدة عن الآلية أين تسود نشاطات تقليدية مثل الزراعة اليدوية حيث يكون الإنسان في مواجهة مع عناصر طبيعية (مثل

¹ ماكسيميليان سور، أسس الجغرافيا البشرية، باريس، أ.كولان، سنة 1943-1948-1950-1952.

الأرض، الماء، النبات، والفصول والكائنات الحية سواء الحيوانات أو البشر والأدوات التي يستخدمها الإنسان هنا هي امتداد للجسد وتتكيف معه حيث تصنع وفق مكيفات بيولوجية، والنفسية، والاجتماعية كما أوضحه ذلك مارسيل ماوس، ويسجل هنا دور المهارة المهنية حيث تكمل الأدوات في هذه البيئة بشكل مباشر مثل حداد القرية، الفلاح التقليدي، والمزارع بدون استخدام الآلة.¹

إذن يمكن القول أن الأدوات تندمج بالتجربة المباشرة وبمعرفة المواد التي يستخدمها الحرفي فعليه تشكل التجربة والمعرفة عنصرا ضروريا في تعلم المهن خاصة منها الحرفية فيما قبل الآلة.

ونسمة من جهة أخرى إحدى البيئات التقنية نسبيا تلك التي نمت في المجتمعات الصناعية خلال الفترة التي زامنت الثورات الصناعية إلى منذ بداية القرن 19 م تحديدا في فرنسا حيث سجل تراجع المؤثرات التي كانت سائرة في البيئة الطبيعية في حين تكونت شبكة من الآلات المعقدة التي تتجه نحو الآلية حول الإنسان على عتبة الثورة الصناعية الثالثة (عهد الطاقة الرية).

يمكن لعالم الاجتماع هنا أن يميز عدة فئات :

- 1- تقنيات الإنتاج (التي سيطرت على الزراعة وعلى الصناعة)
- 2- تقنيات النقل وهي في تطور مستمر
- 3- تقنيات الإدارة (باستثناء الأدوات المكتبية والتوزيع)
- 4- تقنيات الاستهلاك التي تغير الحياة والتدبير المنزلي (الأثاث)
- 5- تقنيات العلاقات والاتصالات (مثل التلفاز، الهاتف، البرق الكلاسيكي)
- 6- التقنيات الترفيهية (مثل الآلات المتكلمة-السينما-الراديو-التلفزيون)

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، مرجع سابق، ص 87.

إن تكثيف البيئة التقنية في المجتمعات الصناعية يضاعف المؤثرات حول الفرد فعلى الرغم من اختلاف وجهات نظر العلوم الاجتماعية إلا أنها تتفق أن نسيان البيئات الطبيعية منذ العصر الحجري القديم هو الانسان الأول كما أوضحت الأبحاث.

*ينطلق إذن رجل عالم الجغرافية من البيئة التقنية (نوعاما) حيث العناصر البيولوجية فيها أكثر عددا وتبدلا أي من صنع الانسان¹ كما حدث في القرن السابع عشر حيث حدد فرنسيس باكون على أن التقنية هي بأنها الانسان مضافا إلى الطبيعة فينتج عن ذلك، أن العنصر الجغرافي الطبيعي يصبح أقل أهمية.

-**تحديد أسلوب الحياة:** لقد تغيرت نظرة الجغرافيين (علماء الجغرافية) فيها تعلق بأسلوب الحياة الذي كان في نظر المنظرين الأوائل على أنه مفهوم طبيعي وحتمي بل أصبح "مجموعة نشاطات" يقوم بها الانسان، تتدخل فيها مجموعة من الشروط الجغرافية ومجموعة من الشروط التقنية والاجتماعية كما أشار إلى ذلك فوشيه 1953 فقطاع الزراعة مثلا تتدخل فيه شروط ليست فقط جغرافية (مثل البيئة الطبيعية والموارد) بل شروط أخرى تقنية واجتماعية، وبالتالي يكتسي الإنسان أساليب حياته وعاداته وتفرض نفسها بواسطة قوة الأجيال المتعاقبة في اكتسابها وتترك أثارها على الأفكار محولة كل جهود التطور نحو وجهة معينة كما أشار إلى ذلك فيدال دولابلاش 1902 إلا أن أتباعه أكدوا على أهمية الإنسان باعتباره عنصر نشيط في بناء وتطور أساليب الحياة (أمثال: ر.ديون، أ.رومانجون، أ.شوللي، أ.أليكسي، د.فوشيه، ب.جورج، ماكس سور) ويؤيد سوسيولوجي العمل التحديد الذي قدمه أ-جيلبير الذي يحتم أسلوب الحياة (أو) ليت فقط على النشاطات الضرورية للبقاء المادي وإنما على التقنيات الخاصة التي تحدد العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية ومع ذلك يتساؤل جيلبر فيما إذا كان أسلوب الحياة ليدخل في دائرة اختصاص² الجغرافية

¹ فيفري سنة 1922 ص 88 (رسالة)

² جيلبير سنة 1948.

البشرية إن 'المكانية) مع أن هذه الأخيرة أثناء محاولتها السيطرة على البيئة التقنية تصبح علما اجتماعيا مستقلا.

-أوجه الالتقاء مع الجغرافية البشرية: لقد توصل العلماء وجهودهم إلى الإنفاق على ثلاث نقاط أساسية نلتقي فيها سوسيوولوجيا العمل مع الجغرافية البشرية وهي كما يلي:

1. الجغرافية الزراعية.

2. الجغرافية الصناعية.

3. الجغرافية البشرية.

هذا الذي يعني وبشكل أكيد على أن ثمة تداخل قوي ما بينهما على أساس أن الحياة الاجتماعية لا تنفصل عن النشاطات المتعلقة بالبيئة سواء البيئة الزراعية أو البيئة الصناعية إن صح لنا تسميتها كذلك فالفرد ككائن اجتماعي تتحقق له الحياة المجتمعة في إطار ما تقدم لنا داخل البيئة ويبقى الجهد الإنساني سواء كان ماديا أو فكريا هو الحلقة التي تحقق الالتقاء ما بين سوسيوولوجيا العمل والجغرافية البشرية وعلمية حاولنا إقامة جدول يمكن إبراز فيه النقاط التي تحقق الالتقاء بينهما.

شكل رقم 01: يمثل نقاط التقاء الجغرافية الزراعية وسوسيولوجيا العمل

الجغرافية الزراعية	سوسيولوجيا العمل
<ul style="list-style-type: none"> - الموارد الطبيعية. - المناخات والفصول. - الطرق الجديدة في الاستعمال. - أساليب الاستثمار. 	<ul style="list-style-type: none"> - تبدل الموارد الطبيعية والمناخات وقابليتها للتحول الزمني تضع تحت تصرف الباحث تاريخ التقنيات الزراعية المتوفرة والموزعة في المجال المكاني. - تساعد الطرق التقنية الجديدة وتطورها في فروع النشاطات الزراعية على تتبع انتشار المساحات المزروعة. - البعد التاريخي المميز يقدم بعدا اجتماعيا. - تأثير الطرق التقنية على البنيات الزراعية على أساليب الاستثمار والملكية وعلى المردودية والإنتاجية. - إن التغيرات التي تسببها التقنيات الزراعية المتطورة تشكل إحدى السمات لثورات الصناعية.

المصدر: تصميم الأستاذة مفتاح نادية

يتضح إذن من خلال هذا الشكل أن نقاط الالتقاء بين الجغرافية وسوسيولوجيا تؤكد تغير الأنماط التقنية في مجال الزراعة تختلف من منطقة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر وهذا يؤدي طبعا إلى تحولات اجتماعية فدخل مثلا الآلة الخاصة بالجد وحلولها محل العمل اليدوي شكل صدمة قوية بالنسبة للمناطق التي بقيت متخلقة مثل بلدان إفريقيا واسبيا وأمريكا اللاتينية في تباعد فيها أساليب الحياة وتختلف عن بعضها البعض.

البعض لعدة قرون¹ تتداخل باستمرار وتحدث ردود أفعال وصددمات تشكل موضع اهتمام لعالم الاجتماع وعالم السلالات وعالم النفس الاجتماعي والعمل في الحقول بقي إلى حد الآن في بعض المناطق من العالم موردا يتركز على جهد الأفراد ويتحول من خلال وجود بعض الشروط المرتبطة بالجغرافية الزراعية وفي هذا السياق يشير داراغون 1959م

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، مرجع سابق، ص90.

إلى أن الإنسان المتخلف يختفي عن طريق هجرة المزارعين للأرياف والذي يسمح بظهور نموذج جديد للمنتجين أقل ارتباطا بالشبكة البيولوجية (الأرض-المناخ والنبات الطبيعي) وأيضا النباتات المزروعة وحيوانات الاستخدام والرعي وبالتالي أقل ارتباطا بالأرض حتى يكاد يكون منفصلا عنها (مثل ما هو موجود لدى المزارعين الأمريكيين الذين يمارسون نشاطهم بين أماكن سكنهم واستثماراتهم الآلية تبعد ب 100 كلم هذا الذي ينجم عنه ضعف تأثير الأرض على العمل البشري.

ومع كل هذا ورغم ما حدث من تغيرات لا يستطيع سوسيولوجي العمل أن يتجرد من الأطر المكانية وتبقى العوامل الجغرافية مهمة جدا، إلا أن الفروقات تظهر من خلال المؤثرات الثقافية والنفسية في ردود الفعل اتجاه العمل وقيم العمل من منطقة إلى أخرى ومن ثم نستنتج أن تركيب اليد العاملة من الأصل الريفي وتوزيعها وحتى طبيعتها تؤثر في الاستثمار الآلي سواء كان صناعيا أو زراعيا وحتى أيضا على النمط والمردود والإنتاجية والمواقف النقابية وحتى على الحياة خارج إطار العمل.

شكل رقم 02: يمثل نقاط التقاء الجغرافية الصناعية وسوسيولوجيا العمل

الجغرافية الصناعية	سوسيولوجيا العمل
<ul style="list-style-type: none"> - البيئة التقنية. - العمل الصناعي. - آليات تكييف العامل الريفي في المجال الصناعي. 	<ul style="list-style-type: none"> - العلاقة تبادلية بين العمل والبيئة التقنية التي يحولها العمل وتؤثر فيه. - مكان العيش والتجهيزات التي تتوفر عليها المدينة (مثل تطور وسائل النقل-مرافق التسلية). - كلما تتحكم في حياة العائلة وفي حياة الفرد العامل خارج مكان العمل (بيئة العمل) هذا يؤدي إلى تأثيرات على العمل في حد ذاته (بمعنى تدخل البيئة المحيطة بمجالات العمل). - يستجيب العمل الصناعي إلى تحديدات جغرافية واجتماعية معينة خاصة عند ما تحاط بعض المؤسسات ببعض الملاحق (الصحية-الرياضية-الثقافية) - توزيع المؤسسات وتمركزها يطبع الحياة المحلية (مثل مدينة خاصة بالأحذية، الحديد والصلب -عناية) SONACOM ROUIBA - تأثر الصناعات على حياة المدن¹(دراسة أفعال وردود أفعال بين جماعات العمل).

المصدر: تصميم الأستاذة مفتاح نادية

في هذا الإطار يمكن تسجيل بعض المشكلات المترتبة على تكييف اليد العاملة ذا الأصول الريفية حينما تنتقل إلى بيئة أخرى وذلك عند إنشاء صناعات جديدة هذا الذي أدى إلى توسع المناطق الحضرية نحو الأرياف وبروز بعض المفاهيم المرتبطة بالبيئة مثل البيئة الريفية ومفهوم الوسط حيث تستخدمه الجغرافية الصناعية بدون تحديد دقيق لهذين المفهومين

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، مرجع سابق، ص91

هذا الذي لا يسمح بفهم الحقائق التي يقوم بدراستها سوسيوولوجيا العمل¹ خاصة ما تعلق ببعض المجموعات والمنظمات والعلاقات المتداخلة والتمثيل العمالي.

*أما بالنسبة للجغرافية السكانية فهي ترتبط أكثر بعلم السكان الحضري كما أشار إلى ذلك بيار جورج لدرجة الامتزاج به لذلك لا يمكننا إقامة دراسة اجتماعية حول صناعة سائدة في منطقة من المناطق الحضرية دون اللجوء إلى اهتمامات الجغرافية البشرية ونظرتها إلى الظواهر المحيطة بها.

كما يرى علماء الاجتماع يمكن إذن الجزم هنا بأن الجغرافية السكانية تقدم معلومات مهمة لسوسيوولوجيا العمل أثناء قيامه بالدراسة والبحث حول المدن والمناطق الحضرية وحتى للضواحي القريبة من المدن وأيضا لمناطق تجمع المدن وتوزيع المناطق السكنية أو المهنية وكذلك لهجرات العمل أو حتى السياحة.

هكذا تساعد الجغرافية البشرية سوسيوولوجي العمل في إيجاد إطار للبحث وظواهر تخصه.

3- سوسيوولوجيا العمل وعلم السلالات:

قبل إثارة هذه الفكرة، لا بد من تحديد علم السلالة لأنه ساد ولوقت طويل اختلاف عند المختصين منذ نصف قرن حول سماته وحقل دراسته وهنا لا بد أن نقف عند مسألة التفريق والتمييز بين علم السلالة وعلم العراقة الذي يشكل مرحلة أساسية وضرورية له، فعلم العلاقة يهتم بالوصف لتقدم مجموعة أو ثقافة معينة ويبدو أن انتشارها المحصور يسمح ببعضهما بصورة تامة (بلانديي سنة 1958م).

لقد اعتبرها بلانديي دراسة وافية وكاملة ووافية تجمع وتصنف الأدوات حيث كان يصبح من وراء ذلك إنشاء مجموعة من النماذج الاجتماعية والثقافية وباستخدام التحقيق التاريخي يمكن لنا يمكننا الوصول إلى بيانا شاملا للاحتباس الحيوانية والنباتية.

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، مرجع سابق، ص91.

ولمعالجة هذا الموضوع هنا اخترنا المجموعات البشرية ذات الانتشار المحدود في المجال الجغرافي والمجال الطبيعي أمّلته وفرضته الضرورة المنهجية ذلك لتطبيق الملاحظة المباشرة والشاملة وأكثر من ذلك محاولة التطبيق أو اختيار المجتمعات التقليدية أو المتخلفة¹، على اعتبار الحجم والتوزيع ونوعيتهم حيث تشكل هذه الأخيرة بيانات أساسية يمكن بموجبها إجراء الدراسة واستقصاء الحقائق وعليه، ذات البناء الاجتماعي المميز والصفات التقليدية لنظمها في ذات الوقت تختلف في الكثير من الخصائص عن المجتمعات الحديثة، لذلك يتفق الباحثون على أن تصنيف المجتمعات في هذا الإطار على أساس نماذج الجماعات الاجتماعية السائدة فيها إما جماعات أولية و جماعات ثانوية² وطبعا تختلف العلاقات الاجتماعية هنا بحسب طبيعة هذه الجماعات.

ويقابل علم السلالة علم الأصول البشرية والاجتماعية والثقافية في البلدان التي تنطق باللغة الانجليزية يعني الأنجلو سكسونية، ولدراسة أي ظاهرة في هذا المجال تجري بثلاث اتجاهات:

- 1- الاتجاه الجغرافي عندما نحتاج إلى معلومات تتعلق بالمجموعات المجاورة.
 - 2- الاتجاه التاريخي هذا إذا كان الهدف من وراء الدراسة إعادة تجسيد ماضي واحد أو أكثر للشعوب.
 - 3- اتجاه منهجي هذا إذا ما أردنا عزل النموذج التقني كذا عن التقليد كذا وعن المؤسسة كذا ولذلك لإعطائه أهمية خاصة.
- لذلك يحتاج الباحث في سوسيولوجيا العمل إلى علم السلالة وذلك عندما يتحصل على المعلومات التي يقدمها له حول النشاطات الخاصة بالعمل ضمن المجموعات البشرية التي يقوم بدراستها.

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، مرجع سابق، ص 93.

² بوتمر، مرجع سابق، ص 148.

وذلك عن طريق الإحياءات والأطر التي قد يرجع إليها والتي قد تعني له إدراكا جديدا للمفاهيم التي أعدها.

ولإيجاد العلاقة ما بين سوسيولوجيا العمل وعلم السلالة نحتاج في ذلك إلى دراسة المجتمعات التقليدية ودراسة مشاكل التطبع كل على حدى.

1-دراسة المجتمعات التقليدية:

إن الملاحظ للمجتمعات التقليدية تبرز أهمية كل من الدين والتقليد في بنية لنشاطات العمل كما أشار إليه هنا بدرسيه، فالتقليد يبدو في الكثير من هذه المجتمعات على أنه أسلوب العمل الذي يتميز بالجودة (الأكثر جودة)، ذلك أنه يساهم الكل في أدائه على الرغم من اختلاف مراتب الأفراد والأمر ليس كذلك بالنسبة لنشاطات العمل دائما لأن هذه الأخيرة تبدو كمجموعة من التقنيات الإيجابية التي يستبعد اعتبارها على أنها تقنيات كافية للإنتاج وهي بعيدة عن أنها مصدر للوجاهة أو كقيمة عليا في السلم الاجتماعي (لأن نظام القيم جميل في المجتمعات إلى الاتسام بقيم غالبية أو ضعيفة ولأن هذه الأخيرة ترتبط بنية الشخصية ارتباطا وثيقا بالثقافة المميزة لمجتمع معين معتبرين الثقافة تحديدا نظام القيم الأساسي للمجتمع¹.

وترتبط بعض النشاطات الزراعية عند الكوكومبين شمال التوغو عند تقوية المزروعات بممارسة بعض العمليات السحرية والدينية ذلك أن بعض الطرق الايجابية هنا مبنية بطرق عاطفية مثل عندما يتعلق الأمر بالصناعات الحرفية خاصة عند بعض المجتمعات التي تنتوع البنيات الاجتماعية خاصة منها ذات الصلة بالمجتمعات التقليدية حينما تختلط العاطفة بالعمل تمتع للفرد شعورا بالمساهمة في العمل الجماعي التي تساهم في تقوية وحدة الجماعة على اعتبار أن المجتمع يحتاج إلى قواعد تنظيمية يغلب عليها طابع الضبط حيث تركز

¹ ر.بودون و ف.بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة د.سليم حداد، ط1، 1986، ص 228.

هذه القيم في المجتمعات البدائية والتقليدية على الجماعية تتيح نوعا من الفردية في المجتمعات الحديثة¹.

لقد ذهب مالينوفسكي إلى التفكير بأن السحر يمارس في جزر طروبريان تأثيرا منظما على عمل الأفراد رغم ذلك لا يخلطون بين الأساليب التقنية والتقاليد السحرية².

الأمر الذي يهمنا هنا ونريد التفصيل فيه هو تغير التشريع والنفوذ التي تؤثر في المجتمعات التقليدية حيث عندما يعمل عبدا في السودان مثلا فإنه يندمج بالمجموعة يلعب فيه الدور المطلوب منه رغم الولاء لزعيم القبيلة وعقد العمل يبدو في المجتمعات التقليدية مجردا من هم النفوذ وهو أحد حوافزه الرئيسية ويجرى العكس في نفس المجتمعات الأخرى مثل الإيني على شاطئ العاج (كوبين سنة 1956) حيث يرفض الوجهاء إتمام عمل من الأعمال اليدوية ويترك ذلك للعمال المتعاقدين الذين ينتمون إلى قبائل الفولتا العليا³.

إلا أنه قد يعمل الإيني لصالح خاله أو عمه ولكن الاحتكاك بالأوروبيين حقق كثيرا من سلطة الزعيم عند البامبا الذي كان يعيد حماسهم للعمل، يظهران تناقص موقف اتجاه العمل هذا الذي لا تسمح به لنا الأثنولوجيا لفهم تنوعه لتتنوع الأنظمة الاجتماعية وذلك باختلاف المجتمعات الإنسانية ونمت قيم العمل بشكل ملحوظ في المجتمعات الغربية في فرنسا على سبيل المثال.

فالنظم الاجتماعية من المفاهيم التي يشوهها الغموض أو بعضه لأنه لم يتم بعد الاتفاق على تحديد مضامينه حيث يذهب البعض إلى اعتباره مجموعة معقدة من السلوك النمط المرتبط بمعايير أو كاك يعرفها البعض بأنها الطرق القائمة والمنظمة لتلبية حاجات إنسانية معينة⁴ إذن الحاجات الإنسانية تتحدد وفق النظم القائمة فيها ووفق أيضا الإمكانيات المتاحة كما أنه تتحدد أيضا الحاجات في المجتمعات التقليدية بفكرة الاكتفاء بالضرورة لا

¹ أ.د. إبراهيم عيسى عثمان، مقدمة في علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، الأردن، 2008، ص 167.

² جورج فريدمان، بيار نافيل، مرجع سابق، ص 94.

³ نفس المرجع، ص 95.

⁴ Ogbern william, social change, new york, husslug, 1950.

غير لذلك نمت قيم العمل بشكل ملفت للنظر في المجتمعات الفردية من خلال ما يعرف بالاتحادات وتطورت أكثر في المكان أو المجال كما يذهب البعض إلى تسميته وظهر التباين في التمثيل الجماعي الذي يرتبط في الأساس على العمل اليدوي إذا تعلق الأمر بالمجتمعات الشيوعية (الاشتراكية) المجتمعات الرأسمالية¹.

ويسمح لنا أو يقدم لنا كل من التاريخ والسوسيولوجيا العمل بملاحظة التغيرات الطارئة لأننا نفتقر هنا إلى دراسة مقارنة في المجال الثقافي فيما يتعلق بالمجتمعات التقليدية وخاصة على مستوى نشاطات العمل والقيم المتعلقة بها الذي لم يهتم به علماء سلالات يشكل يحتوي الظواهر المتعلقة بها في هذا الجانب على العلم أن نشاطات العمل في المجتمعات التقليدية كانت تتميز بالحواسر التي تختلف عما هو موجود في المجتمعات الصناعية وهي ليست مطابقة لحاجات الإنسان العميقة.

2-دراسة مشاكل التصنيع:

تتميز المجتمعات التقليدية بالضغوط، خاصة في المجتمعات التي تتصف بالمدينة والتي تنزع نحو التأقلم الاجتماعي والثقافي، وتنزع أيضا نحو ترك مكانها حاجات العمال في المدينة الكبيرة والواسعة والحديثة، حيث تقترب هذه الأخيرة من الضغوط الاقتصادية، كما يتميز الأجر بالتناسب مع درجة النفوذ الاجتماعي بشكل دقيق في المجتمعات الصناعية، لذا يبرز علماء السلالات بعض الأحداث والظواهر التي تهتم سوسيولوجي العمل والتي تساهم بتحديد أطره المرجعية مثل الموافق اتجاه الإنتاجية والأجر²، هذا الذي يظهر فيه إلغاء لدوافع الإنتاج في المجتمعات التقليدية هذا وراء سقف معين للإنتاج والربح هذا حال بعض المجتمعات الإسلامية التي تتخذ من العوامل الاجتماعية والثقافية بمناعة مميزة وبطابع ديني وبذلك إنتاجية العمل لا ترتفع بارتفاع المكافأة عليها وأن الإنتاج في المجتمعات التقليدية يتم داخل مجموعة ضيقة أو عشائرية بمعنى محدودة اجتماعيا فمثلا الأموال عند الكولومبيين

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، مرجع سابق، ص 95.

² نفس المرجع، ص 96.

ملكية مشتركة وتتم عملية استصلاح الأراضي وعمليات الحرث في سياق الأقدمية بدءا بزعيم العائلة هذا الأخير التي يقوم بعملية الإشراف على كل المزروعات حتى يستفيد منها في تغطية نفقات ذات طابع عام.

هذا الذي يعني تأمين حاجات مجموعة ضيقة وأيضا إنتاجها يتم ضمن إطار التقاليد والطقوس والوظائف التنظيمية والنفوذية وحتى من جانب التأقلم والتكيف الاجتماعي والثقافي يقدم علماء السلالات تغيرات متنوعة للممارسات، لذا نجدهم يصرحون بأن الفلاحين الهنود في اكسكاتلان، في المكسيك مستوى إنتاجهم منخفض والسبب في ذلك يعود إلى عدة أسباب:

1/جغرافيا: لأن هذه الجماعات تعيش في عزلة في أماكن جبلية مثل في سبيرا ماردي أوربا نتالي وهم يعانون من صعوبة الإتصال والتبادل والسكان المجاورون لذلك هذه العزلة تؤثر على حياتهم وعلى نشاكلهم.

2/اقتصاديا: تعبر هذه الجماعات من الجماعات المستغلة من طرف ما يسمى "بجماعة الملونين" أي رجال الفكر.

3/تقنيا: لم ترق نشاطاتهم إلى مستويات مرتفعة بل خضعت إلى ثقافة بدائية وضمن قوانين الطبيعة محاولين الالتحام بها عبر الطقوس السحرية.

إذن يهتم علماء السلالة بالمواقف اتجاه الإنتاجية وحوافزها ويحاولون مراقبتها فيما يتعلق الأمر بالمجتمعات التقليدية والمتصلة بالمجتمعات الحديثة التي تسير نحو التأقلم الاجتماعي والثقافي ويظهر ذلك عبر تطور الأنثروبولوجيا والتي يحتاجها سوسيولوجي العمل والتي طبقت منذ ربح قرن والتي يشجعها مالينو وسكي عام 1930 والاهتمام برز أكثر عند علماء السلالة فيما يتعلق "بالاتصالات الثقافية"¹ وبالأساليب الفعالة والتوجه مؤخرا نحو دراسة المجموعات المحلية والأمية داخل المجتمعات الحديثة، هذا ما يؤكد الاختلافات

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، مرجع سابق، ص 97.

الجوهريّة الموجودة فيما بين المجموعات المحليّة والمجموعات الأخرى المتواجدة في المجتمعات الحديثة.

لقد قدمت جمعية الأنثروبولوجية التطبيقية عدة أعمال منذ 1945 والتي أصبحت مرجعية بجملة من الوثائق ولقد استطاع بعض المختصين مراقبة الدراسات التي وجهت لأهداف عملية مثل الدراسة التي أجراها ألن-أ- هولمبرغ 1955 حول جمعيت في البيرو عند هنود الكيشوا، ودراسات التي قامت بها المؤسسة الوطنية الهندية حول جماعات هندية في المكسيك¹ تازو 1958، توصلت هذه الدراسات إلى تقديم توضيحات حول تحولات نشاطات العمل وحوافزها في بعض المستويات وفي بعض الأوجه وما تصطدم به في حقول الدراسة، كما لجأ بعض الباحثين إلى استخدام الإحصاء كما جرى منذ 1954 حول جمعية الماوري في زيلاندا الجديدة تحت إشراف بيغلون عام 1956-1957-1958 هدفت هذه الدراسة إلى صيد التغيرات الاجتماعية انطلاقاً من آثار التصنيع على إحدى الجمعيات الموازية وهي أثارا تمس بالدرجة الأولى الشرائح الاجتماعية العاملة سواء تعلق الأمر بالحياة الاجتماعية أو ثقافة الجماعات الاجتماعية التي تحتك مباشرة بالتصنيع حيث تحدث هذه الأخيرة تغييرات في التشريعات، فيما تعلق بتحريم تشغيل الأطفال وإلزام أصحاب المصانع دفع الأجور نقدا وفي مواعيد منتظمة.²

ومن جهة أخرى فإن الدراسات التي قام بها علماء السلالات حول الوضع الاستعماري لفت انتباه سوسيولوجي العمل من الجوانب المتعلقة بعلاقات العمل خاصة ما تعلق بالعلاقة بين زيادة الأجر والإنتاجية لدى جماعات العبيد الأفارقة حيث تم اقتلاعهم من البيئة الأصلية لهم ولم يستطيعوا الانخراط والتكيف مع الحياة المدينة ونظامها الاجتماعي والتصنيع الحديث لذا نجد مواقفهم اتجاه الريح المتزايد والحاجات البيئية الجديدة تبرز تأثير

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، مرجع سابق، ص 97.

² ادموند ولسون، تاريخ الفكر الاشتراكي المعاصر، ترجمة: يونس شاهين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1973، ص 319.

جمود القيم التقليدية وعليه يظهر الاصطدام العنيف وصراع للقيم لدى هؤلاء الأفارقة السود عندما يرجعون أو يحولون من بيئتهم الأصلية إلى بيئة أخرى أكثر تقدما وتصنيعا وأكثر تعقيدا من حيث بنية المجتمع واتساقه وقيمه.

ولقد توصل باج بالانديه من خلال الأعمال التي قام بها على هذا المستوى إلى استنتاجه فيما يتعلق بالوضع الاستعماري وبعض المميزات والسمات. يوجد تباين جذريا ينتج أزمات عينية بين حضارة ذات اقتصاد متقدم ومعدل سريع وحضارة غير آلية ذات اقتصاد متخلف ومعدل بطيء¹.

هذا طبعا يجد درجة التطور التي تتميز بها مجتمعات متقدمة وأخرى متخلفة حيث يسعى سوسولوجي العمل في الخوض في المسائل المتعلقة بالإنتاج والبح ومعدل التطور سواء سريعا أو بطيئا، والنموذج للبلدان التي تعشق الوضع الاستعماري هي افريقيا السوداء التي سجلت حولها ملاحظات حيث يظهر التصنيع في البلدان التي خضعت للبريطانيين والفرنسيين الذي ظهر وبشكل مفاجئ غير مهين ضمن الأطر التاريخية إلى مر بها التصنيع في أوربا أنه يزرع شيئا فشيئا الأطر الاجتماعية القديمة ذات الطابع التقليدي، نفس الشيء يمكن تسجيلها عند الحديث عن البلدان النامية حتى تمارس المدن جاذبية قوية على الجماعات الريفية خاصة ما تعلق بالقيم والمعاني المادية ومن حيث المستوى التكنولوجي²، حيث القيم والحوافز الجديدة وأفق الحياة تقوم المواطنين والأفراد بعنف بعيدا تماما عن النشاطات ذات الطابع الاجتماعي ضمن الأطر التقليدية ودفعه إلى تصنيع العمل وجعله أكثر إنتاجية.

لهذا وبفضل الجهود التي قدمت من طرف المختصين في هذا المجال، سمحت بالوصول إلى نتيجة أساسية تتمثل في وجوب دمج النسبية التاريخية أو النسبية الجغرافية بالنسبية الأثنية هذا ما يتطلب منا هنا اعتبار التشريع الاجتماعي-الثقافي- ذو أهمية كبيرة

¹ Balandier (G), sociologie actuelle de l'AFRIQUE noire, P.U.F, paris. P20.

² أ.د. إبراهيم عيسى عثمان، مرجع سابق، ص 166.

حيث يشكل مفهوما أداتيا مكملا لفكرة الجغرافية البشرية الخاصة بأسلوب الحياة والتي تمت بملاحظة المجتمعات الزراعية الكبيرة في عصر قبل الآلية سواء في أوروبا أو إفريقيا وآسيا.

4- سوسيولوجيا العمل وعلم الاقتصاد:

لكي نتمكن من البحث وتقضي في العلاقة القائمة بين سوسيولوجيا العمل وعلم الاقتصاد لا بد من الإشارة إلى نشاطات العمل علميا من وجهة نظر العلوم الطبيعية ومن وجهة نظر الفكر الاقتصادي فمن ناحية العلوم الطبيعية ينظر إليها من حيث المجهود الطبيعي والمادي والطاقة القصوى والمستهلكة، هذا الذي يجعل من نشاطات العمل تتصل إتصالا وثيقا بالقدرات الخاصة للعامل وبالظروف المحيطة به، أما من الناحية الاقتصادية فتحت الأعمال التي قدمها آدم سميث حول مصنع الدبابيس المجال للنظريات العمل الاقتصادي 1776م، حيث أصبح للعمل معه ومع الأعمال التي قدمها ريكاردو قيمة معينة ثم حاول بعدهما ماركس دراسة هذا الموضوع حيث جعل منه مفهوما أساسيا ومحوريا من مفاهيم المجتمع على أن علاقات الإنتاج هي الأساس ومحرك التاريخ البشري حتى أن عمل ماركس أصبح هو تاريخ البشرية¹، على اعتبار أن علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج يترتب عنهما نظام اجتماعي وسياسي وأخلاقي وقانوني معين.

ولقد اعتبر ماركس الطبيعة الأساس الأول والشرط المنطقي لوجود الفكر والحياة الروحية مع العلم أن أعماله هذه استقاها متأثرا بالفلسفة الألمانية، والاقتصاد السياسي الانجليزي والاشتراكية الفردية.

إن قدم ماركس عملا كبيرا في هذا المجال واكتسب بفضل هذه الجهود العمل مكانة جوهرية في دراسته الدورة الاقتصادية بما تتضمنه من إنتاج أي طريقة خلق القيمة المعتمدة من زاوية أنها اقتصادية لذلك يدرك ماركس أن العمل ليس مفهوما حسيا كما يمارسه الخراط، النجار وحتى البناء فإنه العمل يبقى منه الطابع منه المكسب من هذه الأعمال المشتركة

¹ آدموند ولسون، مرجع سابق، ص 254.

والتي تعود في نهاية الأمر إلى العمل الإنساني نفسه وهو استهلاك للطاقة البشرية في العمل دون أن يأخذ في الاعتبار شكل استهلاك هذه الطاقة المميز¹ "بمعنى أن العمل يكتسي أهمية من حيث أنه نشاط إنساني مميز إلا أنه جان باتيست ساي أضاف المعادلة الخاصة بين العرض والطلب والتي تبرر كل عمليات التبادل الأخرى، مع العلم أن كافة العمليات الاقتصادية هي تبادلات يسودها مبدأ "اعمل واكسب"²

والدافع وراء كل تبادل أساسه المنفعة الخاصة بالعمل في حد ذاته والتي تصل إلى أقصى درجة ويذهب بعض المختصين إلى الجزم بأن علم الاقتصاد هو علم الأسواق حيث تعبير العمل شكل مميز للتبادل يخضع لنفس القوانين والمبادئ التي تخضع لها الأسواق الأخرى وإذا تحدثنا عن الأسواق فإنه يحضر العرض والطلب مع أن الاقتصاد ينطوي تحته عمليات أساسية يمكن حصرها في الإنتاج، التبادل والاستهلاك، وهي عمليات محورية في الاقتصاد إن لم تجزم أنها النواة التي تدور حولها العملية الاقتصادية وقيمة عامل إنتاج نفسه قيمة المنتج والذي تحدده ميكانيزمات معينة ويحكمه قانون العرض والطلب³، فكلما كان الطلب على منتج معين كلما ارتفعت قيمة هذا الأخير على أن الاقتصاد تحكمه المنافسة التي يمكن توظيف كل عوامل الإنتاج.

وإذا تحدثنا عن العرض والطلب فإننا ذلك يدفعنا إلى الإشارة إلى السلع التي تخضع لقوانين الحركة الخاصة بها وكأنها تدور في أفلاكها كالإلكترونات وبتلك الطريقة تجعل الآلات تستمر في حركتها وتجعل الناس يستمرون في رعاية هذه الآلات وبذلك أعظم سلعة في الوجود هي النقود لأنها تمثل السلع الأخرى جميعا وهي فكرة أثارها ماركس في خطاب له بالانجليزية عام 1856م⁴.

¹ كارل ماركس، كتاب الرأسمال، منشورات كوست، الجزء الأول، ص 43-44.

² جورج فريدمان، بيار نافيل، مرجع سابق، ص 100.

³ Rymond Barre, economie Politique, tome second, presses universitaire de France, 1965, p 63.

⁴ آدموند ولسون، مرجع سابق، ص 256.

إن التطورات الاقتصادية الحاصلة دفعت بعجلة الاقتصاد نحو مسار معين، وعليه سبق للانحطاط الذي رافق سنة 1930 عدة محاولات لتحليل أسبابه تحليلا علميا وأيضا محاولة البحث في مشاكل الإنتاجية والتحويل والتخطيط حيث قادت هذه المحاولات إلى الاقتصاديين عدم اعتبار اليد العاملة فقط من الناحية الكمية ككتلة متحركة بل أيضا من ناحية خصائصها وردود أفعالها بمعنى الجانب الإنساني بحيث شكلت المتغيرات الجديدة ذات الطابع النفسي والديمقراطي والاجتماعي أهمية في دراسة الأجور التي أصبحت بمعدلاتها لا يمكن تفسيرها من خلال العرض والطلب فقط هذا الذي يؤكد وبشكل قطعي تحدد علم الاقتصاد من بعض الأفكار والأدوات القديمة وتحول اهتماماته إلى مشاكل علمية وظواهر تواكب المرحلة التاريخية من الاجتماع الإنساني وبذلك استفادت سوسيولوجيا العمل من النهضة التي عرفتها فرنسا نتيجة الأبحاث التي تمت واستطاع بذلك الاقتصاد الكلاسيكي أن يتقدم أشواط وذلك بتخطيه المفاهيم التقليدية التي تم تطبيقها في قطاع العمل وبذلك تقدم علماء الاقتصاد في هذا المجال بشكل ملحوظ آخذين بعين الاعتبار المداخل الفعلية والمداخل الإسمية التي وحده الاستقصاء الاجتماعي يسمح بكشفها لذلك عندما قام فرنسوا سيلليه بدراسة "حركة قياس ارتفاع المداخل الإسمية في جمهورية بولونيا" اهتم بزيادة الموارد من خلال تعددية وظائف العامل الواحد أي الوظائف الثنائية والثلاثية في أغلب الأحيان¹ أي في إطار ما يسمى العمل الأسود، وهنا يحاول هؤلاء الأجراء من خلال هذا تخفيف الاختلال بين القوة الشرائية والحاجات التي يحسون بضرورة توفرها ضمن الجماعات الاجتماعية التي ينتمون إليها، حيث تشكل العوامل الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية أهمية كبيرة في تحديد معنى الطبقة والانتماء إليها كما يشير إليه علماء الاجتماع وأكثر من

¹ Sellier (F), Salaires et sécurité sociale en pologne in: le régime et les institutions de la république populaire de pologne, institude sociologie solvoy, bruxelle, 1959, p 119.

ذلك فإن العامل الاقتصادي بشكل الأساس لمسألة اللامساواة كما يشير إليه كارل ماركس¹ فأصحاب العمل هم المالكون لوسائل الإنتاج والعمال هم العاملون بأجر فهذا التوزيع الطبقي يجعل الحاجات والحصول عليها يختلف من طبقة إلى أخرى.

5- سوسيولوجيا العمل والديمغرافيا:

تشكل الديمغرافيا أهمية كبيرة بالنسبة لسوسيولوجيا العمل خاصة على مستوى الجماعات الناشطة من حيث التوجيه والتدريب لليد العاملة وتوزيع هذه الأخيرة على أكبر المراكز الخاصة بالإنتاج وكذا الشأن بالنسبة للمسائل المتعلقة بالعرق والجنس وحتى الجنسية حيث تقدم الديمغرافيا من خلال هذه المواضيع تفسيرات اجتماعية وأيضاً من معطيات نظام ظواهر ووقائع العمل الاجتماعي، لذلك يمكن استنتاج أن خلال تطورها وجدت نفسها الديمغرافيا قريبة جداً من علم الاقتصاد أكثر منها من علم الاجتماع على أساس الحالات الاقتصادية والاجتماعية.

إن الديمغرافيا تحاول من خلال المواضيع التي تهتم بدراستها مثل مكونات النمو، مستوى الدخل في إحدى مناطق العالم أو حتى التوزيع الجغرافي تساهم بشكل كبير في تحديد احتياجات البشرية حاضراً ومستقبلاً وهي بذلك تمثل هذه الدراسات في هذا المجال والاختصاص الطريقة الأساسية لفهم المجتمع البشري وعليه تقترب الديمغرافيا من حيث طرق تفكيرها ومفاهيمها من حيث أن العامل الديمغرافي كان يطرح من خلال تعابير اقتصادية تمكنا من قياس كافة أشكال تكهناته من خلال البرمجة الاقتصادية² والديمغرافي هنا يجد نفسه في هذا الإطار يصف جماعة معينة من خلال درجة إنتاجها واستهلاكها لذلك فهو يقترب بشكل قوي.

¹ Dahrendorf Ralph, class and class conflict in industrial society, stanford university, press, 1959, p 59.

² George (P), la démographie, une science humaine appliquée population, 14 puf, p 306

فمن خلال هذا يقترب من الاقتصادي لدرجة لا يمكن التمييز بينها فالديمغرافي يجب أن يكون اقتصاديا¹ مع العلم أن الديمغرافيا هي علم رياضي تهتم بالإحصاء البشري حسب ما أشار إليه الكثير من الاختصاصيين على هذا المستوى من حيث اهتمامها ببعض المواضيع ذات الصلة بالرياضيات والتي يمكن اخضاعها للقياس الكمي، مثل دراسة الشيوخة بنية الجماعة فإن تعاون كل من كلها الديمغرافيا والاقتصاد أمر حتمي مثل ما هو الشأن عند دراسة حد التزايد الديمغرافي وحجم الاستثمارات التي يجلبها تقسيمه² ومعرفة الديمغرافيا يسمح إذن بالسعي وراء إنشاء مساكن، تجهيزات صحية ومدرسية، خلق وظائف جديدة والمعيار في ذلك في النهاية هو الربح الاقتصادي إذن زيادة حجم جماعة بشرية معينة يؤدي حتما إلى تزايد أدنى للاستثمار داخل هذه الجماعة³ ولكي يؤدي التزايد الديمغرافي إلى زيادة في الإنتاج لا بد أن تتوفر وترافقه بعض شروط التنظيم الاقتصادي والاجتماعي هذه الأخيرة تهم بشكل رئيسي سوسيولوجيا العمل.

إن الديمغرافيا إذن علما إنسانيا تطبيقيا تعمل على إطلاق خبراتها مثل إنشاء صناعة جديدة أو القيام بتحول عمالي وتمتتع عن إمكانية اعتبار الإنسان وحدة في نظام قابل للقياس الكمي عكس علم الاقتصاد الذي يدمج العوامل الاجتماعية تدريجيا منطلقا من النظرة الكمية للجماعات نحو الادراك النوعي لها إلا أن نشاطات العمل المختلفة هي ضمن جماعة معينة ترتبط بالتقلبات الديمغرافية وأيضا ترتبط بهمم الفئات المهنية ولكن فيما تعلق برود أفعال العمال فإنها اختلافها يعود إلى اختلاف النظام الثقافي والاجتماعي بحيث تدخل المعاني والقيم في صميم البناء الشخصي مما يجعلها أساسا لأفعال الأفراد وأفكارهم

¹ George (P), Opcit, page 312.

² Fromont (P), démographie économique, paris; 1947; page 50.

³ جورج فريدمان، بيار نافيل، مرجع سابق، ص 107.

وشعورهم¹، كما تحدد أيضا أسلوب اتحادهم النقابي من حيث تبنينهم موافق دفاع وتتخذ هذه الموافق شكلا جماعيا من حيث الإيمان بنفس الأفكار ونفس الأهداف.

إن أخذت الديمغرافيا المعاصرة فكرة التكامل التي أثر بها بعض المختصون وأكد أن الأحداث الديمغرافيا نقلت من الرقابة الاجتماعية للوهلة الأولى، ويمكن القول أنها تحت سيطرتها الضيقة بحيث لا يمكن فهمها إلا بالرجوع إلى الإطار الاجتماعي الذي تسجل ضمنه² حيث توصل بجورج إلى أن المسلمة الديمغرافية لا تبدو مطلقا مسلمة إحصائية محظة بل هي محاطة أو تتداخل مع نظام اقتصادي ولا يمكن فصلها من البيئة الاجتماعية والنفسية لذا يمكن الإشارة هنا في بعض الحالات الواقعة كيف تتشكل بعض المعطيات الديمغرافية بعض التحديدات الاجتماعية.

فالتقلبات الإنتاجية مثلا والتي تعود في الأصل إلى المواقف اتجاه العمل وما يتصل به، ترتبط بعوامل ديمغرافية وبالعوامل المؤثرات، وعليه قد يحدث انخفاض في القوة الإنتاجية لجماعة عمالية ما يشكل مفاجئ بسبب هرمها والمرتبب بشكل آلي بالعمر ودرجة الاستهلاك مع العلم أن هذا الهرم لا يمكن فصله عن الأحداث الاجتماعية المتتالية والتي تتزامن معه تحت أي شكل من الأشكال وفق بعض الظروف التي يتأثر بها مثل الظروف المتعلقة بالانشقاق في الأطر العائلية التقليدية والاختلالات والاختلافات في النظرة للحياة الفردية والحياة الجماعية.

كما يتطلب هرم إحدى الجماعات العمالية اتخاذ إجراءات ثنائية تتمثل في تمديد مدة الحياة العملية أو بمعنى النشطة وإدخال العنصر النسوي وهما ظاهرتان تدخل في اختصاص سوسيولوجي بشكل مباشر وبالتالي تدرس على أساس ما تهم ظاهرة العمل والتي ترتبط بمجموعة من المتغيرات الاجتماعية مثل:

1/ الموارد وكلفة سلع الاستهلاك.

¹ أ.د. إبراهيم عيسى عثمان، مرجع سابق، ص 272

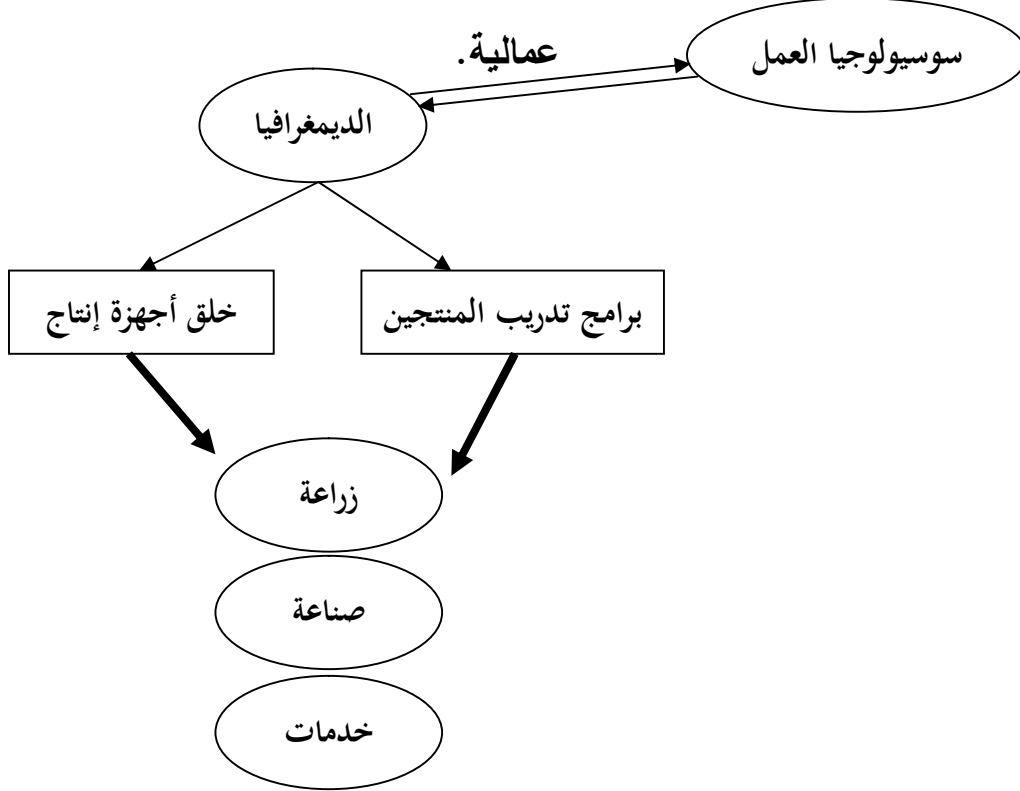
² George (P), géographie de la consommation, paris, puf, page 309.

2/ بنية الميزانيات الخاصة بالعائلة.

3/ التمثيل الجماعي (قيم ترتبط بالعمل وذلك حسب العمر والجنس)، هذا العنصر يرتبط بالجماعة قيد الدراسة حيث تخفيض سنوات العمل وتخفيض سن التقاعد واعتزال الحياة العملية له انعكاسا ديمغرافي متعدد التأثيرات وعليه يظهر مدى تداخل الديمغرافية سوسولوجيا العمل خاصة من حيث المعلومات والمعطيات التي تقدمها سوسولوجيا العمل للديمغرافيا أثناء دراسة جماعة عمالية معينة بين سن 15 و سن 25 سنة تظهر مهمة العالم الديمغرافي في إمكانية التكهن حول مسألة الوقت التي يمكن أن يتوفر لتصبح هذه الجماعة جاهزة من حيث الطاقة الإنتاجية لها فعلية وتأمين الظروف الملائمة لهذه العملية (أي كل ما تعلق بالظروف التكوينية الاجتماعية والمادية) لذلك يحتاج الديمغرافي إلى سوسولوجي العمل ولا يمكن تحت أي طائل الاستغناء عند ويحتاج في مسألتين أساسيتين:

الأول يتعلق بمسألة تدريب المنتخبين المهنيين (العمال الجدد) من حيث أساليب مخصصة لهذا العرض وتتوفر فيها شروط الملائمة وأيضا الاهتمام بتوزيع المراكز على العاملين، أما بالنسبة للثاني فإنه يتعلق بخلق جهاز إنتاج خاص بالمؤسسات وأيضا أجهزة توزع بشكل منطقي سليم بين القطاعات الأساسية الثلاثة (الصناعة-الزراعة-الخدمات)

شكل رقم 01: يمثل تكامل سوسيوولوجيا العمل والديمغرافية من خلال دراسة جماعة



المصدر: تصميم الأستاذة مفتاح نادية

يمكن إذن الاستنتاج مما سبق في المثال أن الديمغرافية، لا يمكن أن تكون لها فعالية من حيث التفسير إلا في إطار سلوك جماعات العمل والتعدي عن هذه المسألة يتطلب منا الرجوع إلى الديمغرافيا النوعية التي يمكن اخضاع فيها الدراسة إلى القياس النوعي حيث تلتقي هذه الأخيرة بسوسيوولوجيا العمل في المسائل المتعلقة بمشاكل التصنيع أين نحتاج إلى مختصين في علم الجغرافيا وعلم السلالات لأننا بصدد دراسة جماعة معينة في فترة تأقلمها الاجتماعي والثقافي وإلى المختص في علم الاقتصاد وعلم النفس وإذا أردنا دراسة النمو الصناعي لأحدى المناطق في بلد متخلف أو متقدم فإننا نحتاج إلى دراسة مفصلة لبنية الجماعة العمالية من الناحية الاقتصادية والاجتماعية أي بمعنى التركيز على البحث الديمغرافي الاحصائي وهنا يبين عالم الاجتماع ويتدخله قادرا على معرفة¹:

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، مرجع سابق، ص 110.

1/ كفاءة الجماعة العمالية مهنيا وفق الصناعات المتوقعة.

2/ إنتاجية المصانع سابقا ومستقبلا.

3/ شروط تكيف الجماعة العمالية مع المهام التقنية وأيضا معدلات وحركات الإنتاج التي

أدخلت عن طريق الوسائل الجديدة (الأساليب الخاصة بالإنتاج).

وكذلك عندما نريد تبنى صناعات أو إلغائها فإن هذه العملية تتطلب منا القيام بدراسة

ديمغرافية خاصة إذا تعلق الأمر بإنشاء مراكز صناعية جديدة.

وبالتالي فمهما ما وصلت إليه البلدان من تقدم اقتصادي فإن تقدم الجماعة العمالية من

حيث درجة السن فإنه يقترن بالتقدم النوعي وذلك من خلال تحول الحرف والمهن الذي

يوازي إحدى الصناعات أو إحدى الورش الضخمة، وطبعا ينعكس هذا التطور والنمو

الديمغرافي المزدوج على المواقف والعادات الاستهلاكية لذا لا بد أن ننظر إليه من زاوية

يتحقق فيها برنامج عقلائي (هذا الذي يمكن إدخال فيه هندسة بسرية معينة) تحقق أهداف

المؤسسة من زاوية العاملين وما ينتجونه على اختلاف طبيعته.

فأما عن التوجيه والتدريب المهنيين والتصنيف والترقية فأنها عمليات تتأثر بسوق العمل

ومقتضياته وأكثر من ذلك يرتبط بمستويات التعليم أي بمقدار العوامل الديمغرافية وفي هذا

الجانب يمكن الإشارة إلى الأعمال التي قدمها كلود دوبار Claude dubar حول

سوسيولوجية المهن فيما يتعلق بخصائص التوظيف للأفراد وميكانيزمات سوق العمل¹ هذا

فيما يخص هذه المسألة أما بالنسبة للعوامل الديمغرافية المؤثرة في دراسة هذه العلاقة فإنه

يمكن الإشارة إلى معدل تزايد إحدى الجماعات يقدم فرصا متعددة للتطوير والتوظيف الأمثل

للطاقات الفردية فمثلا انخفاض الولادات الذي حدث في فرنسا لم يرافقه أي تحسن في

الكفاءات مثل ما أشار إليه جيرار² أما بالنسبة لمعدل التزايد المعتدل فإنه يبدو شرطا ملائما

¹ Claude Dubar, la socialisation, édition armon colin, paris, 2000, p 178

² Girard (A): Démographie social, voir BG, 1958, page 290.

لتأقلم الأفراد مع البيئة التقنية، ويشكل التدريب الأفراد وتوزيعهما على أماكن الإنتاج بشكل عقلائي هو أكثر سهولة في فترة النمو الديمغرافي عنه في فترة الركود.

خلال هذا العرض يمكن تأكيد علاقات سوسيولوجيا العمل بالعلوم الاجتماعية الأخرى ولكن كل تخصص من زاوية خاصة به ومن خلال أيضا وسائل فهم الواقع والأدوات البحثية الملائمة.

خلاصة:

من خلال ما ورد من معطيات في هذا المحور فإن العمل لكل ما وصل إليه من تطور عبر أنماط إنتاجية واقتصادية شكلت صيغته من كل مرحلة بما يتناسب ودرجة تطور المجتمع وأساليب الإنتاج، فانقل إذن العمل من مرحلة النشاط البسيط إلى مرحلة النشاط المعقد، ولذلك لدراسته لا بد من الاعتماد على زوايا مختلفة لفهم الواقع والغاية كلها هي تحقيق التكيف الإنسان مع البيئة المحيطة به. بما يقدمه من نشاط لتحقيق هذا الغرض، وبالتحديد فإن التكيف الاجتماعي هو امتداد للتكيف البيولوجي والبيئي، الغاية منه استكمال الحاجات.

إن سوسيولوجي العمل إذن يحاول دراسة العمل من هذه الزاوية من أجل إيجاد حلقات التواصل التاريخي لتطور العمل الإنساني أظهر فيها الإنسان تحكمه في البيئة المحيطة به. إن الحياة البشرية لا يمكن تصورها خارج البيئة فهي ذلك الكل المركب الذي يحتاجه الإنسان من كل النواحي، لذلك فإن سوسيولوجي العمل يحتاج إلى علم السلالات في والعكس أيضا صحيح، كما يحتاج أيضا سوسيولوجي العمل إلى الاقتصاد وإلى الجغرافيا إلى الديمغرافيا لأنه لا يستطيع أن يدرس ظواهر متعلقة بالعمل في فراغ. أو في الوجود فإن الأمر غير معقول.

المحور الثالث:

الحركة العمالية.

تمهيد

1- السوسيولوجية النقابية عند ميشال كروزيه

1-1- النظرة البنيوية

1-2- النظرة الوظيفية

2- الحركة العمالية كعامل للتغيير

خلاصة

تمهيد:

عرفت المجتمعات الإنسانية أحداث تاريخية وتحولات عميقة مست صميم البنيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولقد مرت الطبقة العمالية بفترات تاريخية ومحطات كانت حاسمة في مستقبله نضالها فيكفي أن البروليتاريا كانت ولا تزال الطبقة الوحيدة في التاريخ التي ثارت ضد الواقع الذي كانت تعيشه وحملت لنفسها كيانا تنظيميا تنشط من خلاله وكانت الرأسمالية محطة احتضت فيها هذه الطبقة وكانت ساحة لذلك الصراع التاريخي الذي دفع بهذه الطبقة للنضال من أجل تغيير الأوضاع السيئة التي كان يعيشوها العمال، فشمّل نضالهم المصنع أولا ثم انتقل ذلك الصراع إلى القوانين الخاصة بالعمل فيما بعد وظل الصراع قائما على الرغم من تغير أوجهه من حقبة تاريخية إلى أخرى ولذلك حاولنا في هذا المحور تسليط الضوء على النقابات العمالية ولكن من وجهة نظر ميشال كروزيه الذي فصل فيها بشكل يسمح فهم الاختلافات الموجودة بين النقابات، في بلدان مختلفة. ولقد تناول ميشال كروزيه الحركة النقابية في تحليله لسوسيولوجية النقابة العمالية، متعرضا في ذلك إلى النظرة البنوية والنظرة الوظيفية وعرض واسع أيضا النماذج العالمية.

1- السوسيولوجية النقابية عند ميشال كروزيه.

إن الأبحاث والدراسات الميدانية حول الحركة النقابية والعمالية قليلة ولم تخطو خطوات كبيرة إلى الأمام باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية وذلك كان منذ ما يقارب 15 سنة، أما بالنسبة للأفكار التي تطورت على المستوي النظري فإنما كانت من اهتمامات رجل القانون ومختصين في السياسة (أي باحثين) وإذن كانت تقريبا منعدمة في اهتمامات السوسيولوجيا ولذلك يبدو أن الدراسات في فرنسا والبلدان الأنجلو-ساكسونية على الرغم من إلقاء نظرة في المؤلفات التقليدية التي قام بها سيدني وبياتريسا ويب عام 1900 حول الحركة العمالية البريطانية يؤكد أن التفسير الاجتماعي لها تميز بالموضوعية أكثر من البحوث التاريخية والقانونية التي جاء فيها بعد على الرغم من أن التطورات الحاصلة في مجال الصناعة فتح المجال للعمال للاتحاد وتوسيع نشاطهم بغرض تحقيق بعض الأهداف التي كانت تتطلبها تلك المرحلة، إلا أن في الوقت المعاصر أصبح الاهتمام أكثر مما كان قبل وانصب على دور عمل المنظمات النقابية حيث انطلقت هذه المبادرة من الولايات المتحدة ثم انتقلت إلى دول أوروبا الغربية، إلا أن الاهتمام الآن توجه في هذا المجال إلى علماء الاجتماع وعلم النفس حيث تشكل المحاولات التي تمت في هذا المجال قفزة من حيث التجديد في المعالجة على الرغم من الصعوبات التي اعترضت هذه الأبحاث.

عادة ما تظهر التنظيمات العمالية والنقابية متحفظة على المستوى العملي خاصة أما طموحات الباحثين في أعمالهم العلمية الاجتماعية هذه الأخيرة التي توجه بالبحث في دور هذه التنظيمات ووظيفتي¹، لذا نجدها لا تتمتع بالطمأنينة الكافية لمواجهة كشف أسرار تنظيمها الداخلي وبالتالي تكون متخوفة من فقدان الهيبة التي اكتسبتها وسط العمال خاصة كذلك فمقدار قدرتها الرعائية وهي قد تكون محقة في ذلك إلى حد ما، هذا في حالة صنعها أما في حالة قوتها فإنها تشعر من خلال هذه الجهود التي يقدمها الاختصاصيون في عملية

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، رسالة في سوسيولوجيا العمل، ج2، ترجمة: دجسي حيدر، منشورات عويدات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 216.

البحث وأنها تتعرض للإهانة عندما تجبر على إقامة علاقات مع أرباب العمل وأصحاب المؤسسات.

فالطبقة العمالية اقترنت حركتها التاريخية بتحركات اقتصادية وسياسية شملت المجتمع¹ وهي حركة استهدفت حين تكونها التاريخي كطبقة عمالية الإصلاحات الاقتصادية ذات الطابع الليبرالية (الرأسمالي في البداية) التاريخية للتحويلات الاقتصادية في أوروبا أدت عدة تغيرات بالنسبة لطبقة العمال، هي تحولات تاريخية أعطت الضوء الآخر لإنشاء المنظمات النقابية فيما بعد من أجل احتواء المشاكل الخاصة بالعمال.

وعليه فإن الحركة العمالية في البلدان الغربية والتي تتميز بأنها ذات طبيعة غامضة ويمكن القول أن إتحادها وتكوينها كان كرد فعل للتحويلات التي حملها التصنيع وهي كذلك كنموذج تنظيمي له دوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية حاليا وهو كبنية يتميز بقوانين خاصة وأيضا كعامل تغير في المجتمع، ضف إلى ذلك أداة متميزة لتحويل العالم، إلا أن الغموض الذي اشرنا إليه يشكل للباحث الاجتماعي صعوبة كبيرة في إثراء هذا الموضوع من حيث الأهداف والدوافع أثناء تحديدها، ذلك أنه لا يستطيع أيضا أن يخوض في هذا الموضوع أو خلال دراسة الحركة النقابية دون القيام بتحليل العلاقات بين القياديين في الحركة والمنتسبين لها، وأيضا بين المنتسبين وغير المنتسبين وأكثر من ذلك العلاقة بين التنظيم في حد ذاته وأرباب العمل والهيئات السياسية ويشكل هذا التنوع تنوع الزوايا التي يعالج منها هذا الموضوع وبالتالي يؤدي الأمر إلى استخلاص نتائج متعارضة مع مقدمات صغرى لكنها صحيحتين علميا.²

وبالعودة إلى الوراء قليلا إلى تاريخ الطبقة البرولتياري وتكوسيتها التاريخي يشير جوزيف بنوات Josef Benoit أن هذه الحركة كانت نضالية مساعيها اتجهت نحو فكرة

¹ د.ثناء فؤاد عبد الله، الدولة والقوى الاجتماعية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 130.

² جورج فريدمان، بيار نافيل، رسالة في سوسيولوجيا العمل، ج2، ترجمة: دجسي حيدر، المرجع السابق، ص 217.

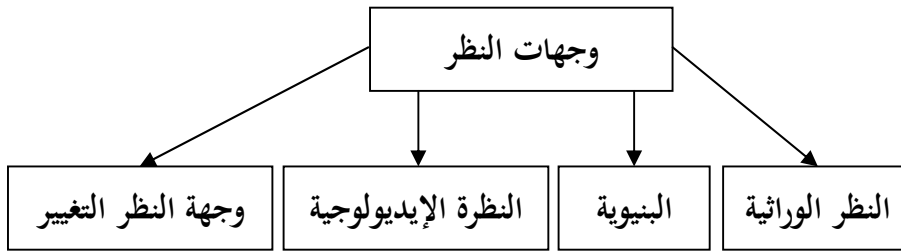
التنظيم العمالي¹ على الرغم من البداية الصعبة التي جعلت منهم ومن القهر الذي عاشوه في ظل النظام الاقتصادي السائد إلا أن هذا كان فعلا عاملا محركا لهذه الحركة وهو صراع في الأصل كان من أجل إعادة النظر في الوضعية الاجتماعية للعمال ثم من أجل إعادة النظر في قيم المجتمع.

والتحليل لهذه الظاهرة الجديدة كان معقدا على مستوى أعمق مما جعل كل المحاولات لتحليل الظاهرة النقابية في اتجاه موجب أمرا صعبا إن لم يكن مستحيلا في بداية تكوينه وذلك لعدم اتساح الرؤية والمعالم لهذه الحركة التاريخية الفريدة والوحيدة لم تسبقها ولن تعاد في التاريخ البشري ولأن الصراع كان بين القين.

ولأن أيضا الصراع تضمن القيم، الأهداف والمعنى وراء النشاط العمالي ففي فرنسا مثلا فإن البحوث التي أجراها الباحثون امتزجت بالعاطفة (أي مسألة التعاطف مع النشاط العمالي) مما أعاقت الدراسات العلمية والنتائج المتوصل إليها.

لقد حاول ميشال كروزيه تتبع الدراسات التي تمت حول الحركة العمالية والنزاعات في العمل وذلك وفق وجهات نظر مختلفة ولكنها مكملة لبعضها البعض على حد تفسيره والتي تتناسب مع الأوجه المختلفة والمتناقضة أحيانا للحركة العمالية ونشاطها.

الشكل رقم 01: وجهات النظر لدراسة الحركة العمالية.



المصدر: تصميم الأستاذة مفتاح نادية

¹ Josef benoit, confessions d'un prolétaire, présentation maurice moissonnier, édition social, paris, 1968, p 15.

انطلقت النظرة الوراثة من سؤال يتمحور حول الحاجات التي تستجيب لها الحركة العمالية وكيف تطورت ولماذا؟ كذلك تطورت بمعنى أن هذه الأخيرة حاولت البحث والتحليل في أصل هذه الحركة ونشأتها وكان الاهتمام من قبل المؤرخين في أول الأمر وأجابوا على هذا السؤال، كما توفر لديهم من معطيات للأحداث التاريخية التي مرت بها هذه الحركة أثناء نشأتها وبالتالي وتحليل الحاجات كما هو وراجعي تساؤلها حولها فإنه لن يتأثر لها القدرة على الإجابة إلا من خلال معرفة الموقع الذي تحتله في المجتمع وأيضا من خلال دراسة البدايات الأولى لهذه الحركة والظروف التي نشأت في ظلها وتطورت في إطارها وطرح أسئلة حولها أما التاريخ من أجل تجنب الصورة الرومانطيقية¹ التي تتعارض مع الصورة والنظرة العلمية وهنا الأمر لا يهمننا من زاوية النتائج وعرضها بل التركيز أكثر على مضي التفسير والتحليل في فرنسا فالسيرة للتفسير الأول فلقد ظهر مع مؤلفات إدوارد برت وجورج سوريل ويقدم الكتاب تاريخ الحركة العمالية معلومات قيمة حول ولادة الحركة العمالية، حيث ينظر هؤلاء إلى هذه الحركة على أنها شكلا من أشكال الإبداع الواعي والعقلاني لعدد من الأفراد العمال والمدركين للحركة وذلك بقدرتهم على جمع أفضل العناصر العمالية القادرة على النضال ويشير في هذا الصدد شارل دويان Charles dupin رجل الاقتصاد عام 1928 على أن الوسط الاجتماعي والمهني قد أعطى الميلاد للبروليتاريا² حيث كان اللقاء والاتحاد المهني العمال الريفيين وأيضا رؤساء الورشات.

هذه الأخيرة التي تكونت ووقفت للتفاوض مع الطبقة البورجوازية المالكة لوسائل الإنتاج والمتحكمة آنذاك في قوة العمل والسوق أيضا ولأنها كانت في مرحلة تسير فيها في تحقيق

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، رسالة في سوسيولوجيا العمل، ج2، ترجمة: دجسي حيدر، مرجع سابق، ص 218.

² Josef benoit, opcit, page 14.

التراكم الرأسمال الأولي وهو الطرح الذي حاول الفكر الماركسي وماركس تحديدا عندما ناقش فكرة الحد الأقصى لتطورات قوى الإنتاج في الخط الغربي سارت نحو التقدم.¹

ولقد كانت تأثيرات الماركسي أشد نفعا على سوسيولوجيا الحركة العمالية على الرغم من اكتفاءهم بالتغيرات الغائية السهلة ولذلك حادوا عن الدروس التي يمكن استخلاصها من الأعمال التي قدمها ماركس هو الذي سار في فرنسا في دراسته الحركة العمالية فالحركة العمالية نشأت مع الثورة الصناعية حيث يظهر الترابط بين التكنولوجيا والحركة العمالية، هذا ما يؤكد دور التكنولوجيا في إحداث التغيير في المجتمعات الإنسانية وأيضا دورها في خلق حتمية تاريخية للتحرك العمالي هذا ما يؤكد أن التكنولوجيا لم تكن عامل فريد في إحداث نمو الأشكال التنظيمية مختلفة بمعنى الإدارة في حد ذاتها ونشاط العمال الذي أصبح له إطار تنظيمي ينشط تحته وبالتالي فالحركة العمالية ساهمت في إحداثها عوامل تكنولوجية وأخرى بيئية.

هذا وإذا حاولنا إلقاء نظرة على الأبحاث الأمريكية في هذا المجال فإننا نجد تناقض تماما مع أفكار الماركسية فيما يتعلق بتكون الحركة العمالية، حيث تتطلب من تقديم انتقادات قوية.

حيث توجهت هذه الأبحاث في طابع نفسي سيكولوجي² فإما كان الأمر على المستوى التجريبي وذلك عن طريق جملة من الأسئلة وإما على مستوى يتضمن تحليل الوضع وهذا بهدف دراسة الماضي وبذل الباحثون جهودا كبيرة في إظهار الدوافع التي تحقق وراء مشاركة العمال في تنظيم نقابي معين وأيضا في الوجود ذاته لهذه التنظيمات وعلى الرغم من النتائج التي توصلت إليها هذه الجهود في تقديم المعلومات وتوفيرها للاستمرارية في البحث مستقبلا إلا أنها على مستوى التفسير فإنها وصلت إلى النهاية بشكل سريع جدا.

¹ أ. بلقاسم بوقرة، من الاستبداد الشرقي إلى النظام العالمي الجديد، التاريخ الاجتماعي للجزائر تحت المجهر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، ص 61.

² جورج فريدمان، بيار نافيل، رسالة في سوسيولوجيا العمل، ج 2، ترجمة: دجسي حيدر، مرجع سابق، ص 219.

إن الحركة العمالية ليست ردة فعل سلبية وبسيطة يمكن فهمها من خلال تحليل الحاجات الخاصة بالعمال وأيضا من خلال ما يجعلهم يستأوون على الرغم من أهمية البيئة التي تحدها إلى حد كبير جدا وأيضا بقافة خاصة لهؤلاء فقط وإنما هي تكوين مستقبل وفعل ايجابي وثمره نضال طويل ومستمر فالأزمات التي عرفتها أوروبا وفرنسا خاصة أدت إلى تغيرات وأحداث أعطت الدفع للحركات العمالية للنشاط أكثر، فالثورة الفرنسية لعام 1830 أدت إلى أزمة صناعية وتجارية قاسية له حتى بتفطي الفقر والكثير من العائلات العمالية وقعت في أزمة لأنها كانت تعتمد أساسا على الأجرة¹، مما سمح بظهور انفجارات وصراعات عمالية اتجاه أرباب العمل.

إذن يمكن القول أن الأعمال التي قدمها Warner في هذا المجال سمحت بمعرفة الواقع الاجتماعي الذي تحركت فيه قوى اجتماعية متعددة خلال الثورة الصناعية في أواخر القرن 18م والذي أدى إلى تطورا حضاريا أدى إلى خلق اختلال كبير في المجتمع ووظائفه خاصة في البلدان الغربية وما صاحب ذلك من أمراض تتعلق بالكون البيئة وظروف العمل الإنسانية² بالإضافة إلى مشاكل وظواهر أخرى صاحبت هذا الحدث الاقتصادي بمعنى أن هذا الحراك الاجتماعي الجديد فتح المجال أمام الأبحاث في الظواهر الاجتماعية التي عرفتها المجتمع الأوربي بما حملته موجة التصنيع من تغيرات اقتصادية، اجتماعية وحتى ثقافية قيمة ولقد تزامنت هذه الأحداث مع الأعمال الكبرى لبعض علماء الاجتماع أمثال ماركس الذي أسس نظريته حول المادية التاريخية والديالكتيكية والذي يهم بالدرجة الأولى علم الاجتماع آنذاك والذي يتحدث عن الواقع الاجتماعي على أن المجتمع لا يوجد ولكن الموجود هم الأفراد والعلاقات التي تربطهم هذه العلاقات ليست فقط مع الطبيعة وإنما أيضا مع بعضهم البعض حيث أن الإنسان كائن اجتماعي لا يمكنه العيش بمفرده ولكن في إطار

¹ Joseph benoit, opcit, page 23.

² Thomas gay, l'indispensable de la sociologie, groupe studyrama, vocatis, imprimerie de France, 3^{eme} trimestre 2010, page 13.

منظمة العمل فإنه يكون علاقات مع الآخرين كما أن أنماط الإنتاج على حد قوله هي الأصل في الصراعات الطبقة بمعنى أن التناقضات الموجودة ما بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج هي أيضا الأصل في الحراك التاريخي¹، وعليه فقد اهتم ماركس بدراسة الأوضاع التي كانت سائدة في أوروبا وخاصة بريطانيا في النصف الأول من القرن التاسع عشر معبرا ذلك نموذجا للبلدان الصناعية الرأسمالية ومن خلال هذا توصل إلى بناء نموذج يفسر من خلاله تطور المجتمعات الإنسانية بمعنى أن رؤيته كانت على مستوى بنية المجتمع ككل أي في كليته خاصة وأن أعماله أنصبت حول القضايا التالية: الطبقات الاجتماعية والصراع الطبقي والاغتراب والدولة، البيروقراطية والإيديولوجية حيث يرى في البورجوازية والبروليتارية والصراع الطبقي محرك التطور الاجتماعي في المجتمعات الطبقة.²

إن التناقضات بين هاتين الطبقتين أدت إلى توجيه الحركة العمالية نضالها ونشاطها نحو تغيير البناء الاجتماعي، على الرغم من أن هذه الطبقة يرى ماركس أنها تقود للتحويل نحو الاشتراكية في حين أن الطبقة البورجوازية قادت التغيير من الإقطاع إلى الرأسمالية وهذه الميكانيزمات حسب ماركس تقود إلى التنمية عندما يدخل الأفراد أثناء قيامهم بعملية الإنتاج الاجتماعي في علاقات إنتاج تتطابق مع مرحلة محددة من تطور قوى الإنتاج المادية، على أن المجتمع يركز على الاقتصاد كركيزة أساسية وأساس حقيقي للبنى الفوقية، هكذا إذن يؤكد لنا ماركس أن الحركة العمالية أدخلت نفسها في صراع مع قوى أخرى في التنظيمات الصناعية أولا ثم توسع نشاطها في منظمات أخرى واكبت خلالها التطورات الحاصلة في المجتمعات الإنسانية.

فالواقع أن تطور علم الاجتماع وخاصة علم الاجتماع الصناعي فتح المجال للأفكار حول نشأة الحركة العمالية وذلك عن طريق البحث في العوامل المختلفة والتي تحدد المواقف

¹ Thomas gay, opcit, page 15.

² أ.د. علي غربي، علم الاجتماع والثنائيات النظرية (التقليدية-المحدثة)، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، Socoret، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007، ص 139.

التي يتخذها والتصرفات التي يسلكها أيضا الإجراء سواء كانت فردية أو جماعية وكذلك شكل ردود الأفعال هكذا كان تحليل الحركة العمالية وفق وجهة نظر وراثية على الرغم من أن هذه الأخيرة لم تركز كثيرا وتبرز هذا الطرح بشكل تتوضح الرؤيا للقارئ والمهتم في هذا المجال.

1-1- النظرية البنوية:

إن النظرية هي مجموعة مفاهيم مترابطة بشكل متسلسل هدفها بلورة قوانين الظاهرة كما أشار إليها (ثيودور أبيل) وهي أيضا مجموعة من القضايا المترابطة بشكل منطقي توضح جزءا من الواقع (جوزيف هايمس)¹. ومن ثم تناولت البنوية الحركة العمالية على اعتبارها ظاهرة اجتماعية قابلة للدراسة وفق العناصر الأساسية المكونة للنظرية (المفاهيم، القضايا، البناء المنطقي)² على اعتبار أنها قضية من القضايا التي تهتم بها على الرغم من أن هذه الرؤية ظلت مهملة وكان ممن تهتمهم الحركة العمالية يتطلعون إلى دراسة الحركة العمالية من زاوية معينة تتمثل في دراسة إيديولوجيتها وآفاقها الاجتماعية والسياسية حيث تتداخل فيها الأفكار النقابية وأنشطتها، وأيضا آفاق العلاقات مع أرباب العمل أكثر من التطلع بالاهتمام للنماذج التنظيمية الخاصة بهذه النقابات، وتمت المناقشة لبعض المواضيع دون الرجوع إلى المشكلات التنظيمية التي ترتبط بها هذه الحركات العمالية ولقد ناقشت مسألتين هامتين أولها البيروقراطية أو كما أطلق عليها أصحاب النظرية البنوية "مشكلة المكتبية" والثانية تمركز السلطة.

أ- مشكلة المكتبية (البيروقراطية):

لكي نفهم هذه المسألة وما يتعلق بالبيروقراطية أو المشكلة المكتبية كما تتبناها النظرية البنوية لابد من فهم البيروقراطية بشكل عام لكي نقرب شيئا فشيئا، كما يتعلق بالمكتبية

¹ عبد الباسط عبد المعطي، عادل الهواري، النظرية المعاصرة لعلم الاجتماع، دار المعرفة، الجامعة الاسكندرية، 1986، ص ص 17، 39.

² علي غربي، مرجع سابق، ص 17.

النقابية تعود الاهتمامات الأولى للبيروقراطية في الفكر الفييري عندما أشار إلى البيروقراطية الصناعية حيث يرى فليبر أن التنظيم يرتبط بالقواعد الوظيفية وبمستوى معين من الكفاءة الإدارية كما ركز في هذا على نوعان من البناءات الكلية للتنظيمات البيروقراطية وهما إما المشاركة لأغلبية الأعضاء في وظيفة عامة واحدة وإما مبدأ التعاون بين الأعضاء، إلا أنه عند الحديث عن المكتبية النقابية داخل الحركة العمالية فإنه يشكل الموضوع الأساسي للمناقشة حول البنى حيث حاول أنصار Webb تحليل ومناقشة الوضع المعنوي للنقابيين الدائمين وكان ذلك يشكل نجاح وتوصلوا إلى أن هؤلاء يميلون إلى الاندماج بالطبقات الوسطى ولقد تكامل هذا التحليل مع الفكر التطوري والتجريبي الذي كان سائدا في إنجلترا في ذلك الوقت وبعد عشر سنوات شكلت العصر الذهبي للاشتراكية الديمقراطية الألمانية¹ ولقد نجحت هذه الحركة بشكل سريع.

ولقد كان تناقض كبير قائم بين الإيديولوجية الاشتراكية التي كانت تتادي وتؤيد العدالة وبين الحركة الانجليزية، ويظهر هذا التناقض على مستوى الأفكار والنزاع المشهور بين كاوتسكي وبرنشتاين كما نلفت الانتباه إلى المسألة التي والت يطرحها روبير ميشال حول الأحزاب السياسية والتي تعد الدراسة الأولى حول مكتبية الأحزاب والنقابات العمالية ولقد اهتم بآلية المكتبية أكثر من اهتمامه بفهم دورها ومعناها لذا بقي تحليله مجرد نسبيا، ولقد أراد من خلال هذا البرهنة على حتمية تكوين طبقة مكتبية وراء القواعد الرسمية والإيديولوجية الديمقراطية، لقد أشار أيضا إلى ما سماه بقانون الحد الأدنى للأجور لفئة معينة داخل الحركة العمالية تتصرف بالسلطة، ولقد أهمل في هذا الفروق الممكنة لأشكال مختلفة للمكتبية وأيضا عدم إدراكها لمشكلات الجماهير والعلاقات التي تتجاوز علاقات الرؤساء بمؤوسهم هذا الذي يوضح عدم ارتباط تحليله بكل بنى الحركة بيد أن الواقع في حياة الحركات العمالية يؤكد مسائلا بنيوية تحدد الوضع والدور لكل بيروقراطية نقابية وخاصة

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، رسالة في سوسيولوجيا العمل، ج2، ترجمة: دجسي حيدر، مرجع سابق، ص 221.

شكل التنظيم العمالي يظهر إذن أن حتمية التطور فرضت أشكال متعددة للبيروقراطية النقابية وفق خط سير التغير الاجتماعي وضمن التطورات الصناعية والاقتصادية الحاصلة حيث بلغ التأثير إلى الطبقة العاملة التي بذلت جهودا تاريخية جعلت منها قوة حقيقية حددت معالم التنظيمات الصناعية بفضل مبادئها الجماعية التي جعلت منها حركتها تاريخية وظاهرة فريدة من نوعها آنذاك.

لقد اعتمدت البنيوية على ثلاث مبادئ تنظيمية (التنظيم الجغرافي والتنظيم المهني والتنظيم الصناعي ويمكن للنقائبيين التجمع في خلايا إقليمية سواء كانت مهنية أو في صناعة واحدة على الرغم من وجود فروق بين الحركات العمالية سواء التي تعتمد على التنظيم المهني أو على أساس الصناعات أو حتى الخلايا الإقليمية والمحلية فكل المحاولات التنظيمية الأولى في البلدان الغربية كانت على أساس إقليمي وفي إنجلترا كان على أساس محلي ضمن الاتحاد التجاري الوطني الكبير لروبير أوين مؤلفا من جمعيات محلية وجميع الحركات إذن التي ظهرت من عام 1830 إلى 1840 في إنجلترا وأمريكا وإلى غاية ظهورها مع ثورة 1848 في فرنسا وألمانيا حركات محلية ولكن خلال عامي 1880 و 1890 أصبحت التنظيمات أكثر أهمية في الولايات المتحدة، عرف "بفرسان العمل" وهو عبارة عن اتحاد جماعات إقليمية، أما في فرنسا فكانت الحركة الإقليمية لا بنية النقابات العملية معادلة للحركة المهنية¹.

تميزت الهيئات الإقليمية بأنها فتيّة غير مستقرة ومتغيرة في مهمتها وأيضا متأثرة بإيديولوجية ثورية، ذلك الذي يمكننا القول أنها لم تزل غامضة بينما التقسيم المهني يتوافق مع حركة ذات تقاليد معينة حيث تحرك مجموعات خاصة تتوجه كل واحدة منها إلى فئة خاصة من العمال وقد مرت جميع الحركات العمالية الغربية في الطور المهني الذي ساد

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، رسالة في سوسيولوجيا العمل، ج2، ترجمة: دجسي حيدر، مرجع سابق، ص 223، 222.

دون منازع في إنجلترا إلى غاية 1900 ولغاية أيضا إنشاء اللجنة الدولية الأولمبية عام 1936.

وبالنظر إلى المجموعات التي ظهرت وتشكلت فالتقسيم حسب الصناعة هو الأكثر انتشارا في الوقت الحالي، حيث يشكل الوسيلة الوحيدة لدى الحركة العمالية للنضال ضد التجمعات الرأسمالية الكبيرة وكان الانتقال من التنظيم الحرفي إلى الصناعي قد أحدث صراعات داخل الحركة العمالية الأنجلو-ساكسونية، في حين أن في أمريكا فإن النقابات الصناعية تطورها كان بطيئا بسبب القدرات القوية لأرباب العمل في الصناعات الجديدة والعداء الكبير للنقابات الحرفية القديمة، ذلك أن هذه النقابات نضالها كان يستهدف مسائل محورية أساسيتين في المجتمع وفي التنظيمات الصناعية.

إلا أن في المجتمع الغربي توجهت بقايا التنظيم الحرفي للتعيش مع التنظيم الصناعي إما في إطار نقابات حرفية صغيرة مستمرة إلى جانب الاتحادات الصناعية الكبرى، وإما في شكل اتحادات حرفية قوية تبنت على المستوى العملي الشكل الصناعي لأكبر عدد من المنتسبين لها.

ويتضح من هذا أن هناك ثمة فروق تنظيمية بين هذه الاتحادات يمكن أخذها بعين الاعتبار من أجل فهم مشكلة البيروقراطية لأن في الحقيقة وفي الواقع الملموس تظهر اختلافات جوهرية بين القارة الإقليميين والإداريين المتفرغين للعمل النقابي وقادة النقابات الحرفية والنقابات الصناعية، ويشير هنا ميشال كروزيه إلى أن التجمعات الإقليمية يكون الموظف النقابي قليل التخصص حتى أنه يطال نشاطه هذا المجال السياسي على الرغم من اختلاف الطرح ما بين النضال النقابي والنشاط السياسي فالأول يحتاج إلى الوعي لأهداف ومطالب الجماعة المنتمية إليه وحمل رسالة الدفاع عليها بكل قوة في حين أن الثاني يتضمن اتجاهين الأول الاقتناع من أجل الانتماء أو معرفة الآليات الخاصة بالحكم والسير السياسي.

وعليه ففي العمل النقابي يظهر لنا أسلوبين إما الهياج الثوري وإما تحت شكل الجماعة الضاغطة وقد نجد الأسلوبين معا وتحت هذه الظروف وهذين الشكلين فإنه لا يمكن نشوء بيروقراطية حقيقية¹، ويمكن ملاحظة هنا التطابق بين النقابين من عدمهم للتمركزين للعمل النقابي والأوساط السياسية السائدة حيث يظهر وبشكل جلي الاستقلالية التي يتمتع بها النقابيون الحرفيون ودرجة من السلطة تجعلهم يحققون لا تقسمهم مكانة مهمة جدا بحيث لا يمكن الاستغناء عنهم كموظفين في مهنة معينة وبالتالي فهم يتمتعون بنوع من السلطة تعود لهم بفضل التخصص الذين هم فيه ومن ثم يحاولون قدر الإمكان الاستفادة من هذا النوع لتحقيق مصالحهم وأيضا يستطيعون بفضل هذه السلطة الاندماج في الطبقة الوسطى، حيث أن هذه الجماعة تستطيع أن تلعب دورا محوريا في التأثير في الأبنية وهياكل التنظيمات بحكم طبيعة المكانة التي يتمتعون بها وبحكم أيضا العلاقات التي يقيمونها داخل الجماعات العمالية أو حتى خارج إطار العمال.

أما الآثار التي يمكن الحديث عنها على مستوى الواقع الاجتماعي والتصورات العلمية التي سعت إلى مناقشة هذه الأحداث فإنه تظهر مسألة الصراع كاستجابة لتكون هذه النقابات ولكن تختلف طبيعة هذا الصراع على الرغم من أن هذا الأخير يبقى هو محرك التطور الاجتماعي في المجتمعات الطبقيّة وبالتحديد المجتمعات الرأسمالية أين يظهر مفهومين أساسيين في هذا النظام البورجوازية والبروليتاريا، لذلك هنا نميز بين البيروقراطية التي تحدث عنها ميشال كروزيه عند حديثه ومناقشته للحركات العمالية وبين بيروقراطية الدولة التي تعتبر أداة نعتمد عليها الطبقة الحاكمة في ممارسة سيادتها على الطبقات الأخرى²، هذا إذن ما يبرر تطلعات ونشاط هذه الجماعة فهي إذن وسيلة من الوسائل التي توصل إلى الوعي الزائف والاغتراب كما تحدث عنه ماركس كعملية معقدة تشير حسبته إلى تحول إنتاج نشاط الإنسان أو العامل إذا كان الأمر يتعلق بالعمال في المنظمات الصناعية

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، رسالة في سوسيولوجيا العمل، ج2، ترجمة: دجسي حيدر، مرجع سابق، ص 224.

² على غربي، مرجع سابق، ص 139.

الإنتاجية إلى شيء مستقل وبالتالي يقعد السيطرة عليه يمكن إذن تقسيم هذه النقطة التي أشار لها ميشال كروزيه عدم تقديم الخاصيات الأساسية التي تتوفر في كلا النوعين من الاتحادات، صنف إلى ذلك إشارته إلى حدثين هامين وهما الهياج الثوري والجماعة الضاغطة دون تقديم العناصر التفسيرية التي تمكن هذين الحدثين من الدخول في المشكلة المكتبية كما سماه.

ب- تمركز السلطة.

لقد كذلك أشار ميشال كروزيه إلى مسألة تمركز السلطة وأنه أيضا طال الحركة العمالية بشكل غير مباشر على الرغم من أنه مظهرا من مظاهر المجتمعات المعاصرة لاحظ ميشال كروزيه من خلال مناقشته لهذا الموضوع أن السلطة تتمركز في يد جماعة المسؤولين النقابيين، إلا أنه يظهر البعد الوطني لسوق العمل وأيضا تظهر مسألة النفوذ الوطني والدولي للاحتكارات الكبرى ومن ثم ظهرت الاتحادات الصناعية الوطنية مراكز عصبية وحساسة للحركة العمالية مع وجود اختلافات حسب البلد.

إن التجربة الفرنسية والإيطالية حول تمركز السلطة داخل الحركات العمالية في أن الاتحادات الكونفدرالية تتقدم على الاتحادات الفدرالية الكاملة التوحيد، بينما في بلجيكا وهولندا فإنها بدرجة أقل، إن الاتحادات الكونفدرالية تتكون من هيئات مشتركة للمهن والصناعات هذا الشكل يتناسب مع التوجه السياسي لهذه الحركات (وإذا عدنا إلى تاريخ المجتمع الأوربي قليلا إلى الوراء فإن الامبراطورية الرومانية قد انقسمت إلى امبراطوريتين الشرق والغرب عام 395م¹ هذا الذي يعني أن الانقسام التاريخي لها حدد معالم القانون، طبعا التوجه السياسي لها يتأثر بطبيعة الأنظمة لهذه البلدان، كما يتحدد أمر آخر لهذه الحركات علاقتها مع الإدارة العامة، إن ما يميز هذه النقابات أيضا أنها تستند إلى التعددية

¹ محمد سامي عبد الحميد، الجماعة الدولية، دراسة للمجتمع الدولي منشأة المعارف، الاسكندرية، 2004، ص، ص 53، 55.

النقابية¹ بمعنى عدة نقابات ناشطة متوازية في المهن والصناعات ومرتبطة بمراكز مختلفة، هذه النماذج من التمرکز تؤدي إلى نتائج مختلفة من حيث طرق النضال والمطالبة بالحقوق المشروعة للمنتسبين لها. لذا بالنسبة للنظام الأحادي التعددي فإن الرقابة تأخذ طابع سياسي والحركات تجبر مسؤوليها للعمل والنشاط الدائم.

أما بالنسبة للتنظيم الصناعي الموحد والذي يميز البلدان الأنجلوساكسونية والألمانية يؤكد ميشال كروزيه حسب تطرحه النظرة البنوية أنها تتمتع بسلطة كبيرة لكن يخضع للمزاحمة اقتصادية من الاتحادات الصناعية الأخرى من جهة وضغوط مندوبي المشاغل والمصانع الذين ينظمون الاتفاقات الجماعية حيث يعدون الأطر التي توجه الصراع مع أرباب العمل من جهة أخرى ولذا فإن أشكال الرقابة ضعيفة ومع ذلك فإن هذه الرقابة تسمح بتفسير التوازن النسبي لهذه التنظيمات إلا أن النجاح في المجال الاقتصادي يكون على حساب الإكراه السياسي والأيدولوجي وهذه الذي قد يدفع إلى التقسيمات تهدد الوحدة داخل التنظيمات النقابية.

لقد توصل ميشال كروزيه خلال عرض هذه الأفكار في مناقشته لها هنا هو قراءة المناقشات في هذه المسائل الخاصة بالحركة العمالية هو أنها تدور حول مطلب ديمقراطي إلا أنه في إطار مصغر، ديمقراطيا في القمة ولكنه مستبداً على مستوى العلاقات بين المسؤولين والجماهير ومن جهة أخرى تتحقق المطالب في إطار اجتماعي وثقافي خاص ولذا البحث في هذا الموضوع يتطلب توضيح مفهوم الديمقراطية في إطار تنظيم طوعي وأيضاً الأخذ بالعناصر التي قد تؤدي دور معين. فهكذا كان للمصانع والمناجم وضجيج الآلات والمشكلات الاجتماعية المرتبطة بها دفعا للتحرك بالنسبة للعمال وتصنع التاريخ لهم وتوفر للعلماء مجالاً خصباً للبحث والتفسير للظروف والمشكلات التي ترتبت عن التصنيع والآلة والأنساب.

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، رسالة في سوسيولوجيا العمل، ج2، ترجمة: دجسي حيدر، مرجع سابق، ص 225.

1-2- النظرية الوظيفية:

لقد اتجهت الدراسات وفق النظرية الوظيفية إلى وظائف النقابات في المجتمعات العربية عوض البحث في المسائل ذات البعد البنوي واتجهت في منحى قانوني واقتصادي وزاوية علمية ضيقة، فتمت معالجة المواضيع المرتبطة بالنقابات من زاوية الوصف لإجراءات المفاوضات الجماعية بشكل توفرت فيه الدقة، كما تم دراسة تأثيرها على الحياة الاقتصادية وعلى وجه الدقة الإنتاج والمحددات المرتبطة به من قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج وأسلوب الإنتاج وفق ما توصل إليه ماركس في أن أسلوب الإنتاج = قوى الإنتاج + علاقات الإنتاج، وحين يدخل الأفراد خلال قيامهم بعملية الإنتاج الصناعي في علاقات إنتاج تتطابق مع مرحلة محددة من تطور قوى الإنتاج المادية وتشكل مجمل علاقات الإنتاج البناء الاقتصادي¹.

لقد أشار ميشال كروزية هنا أيضا إلى أن الوظيفة وأصحابها قامت بتحليل الوضع الشرعي للنقابات وحق المفاوض الجماعية وأوضحت كيف أن تدخل النقابات في الحياة المهنية من خلال ممارستها لحقها النقابي ونشاطها داخل المؤسسة يخلف حقا جديدا لها وللمنتسبين لها. إلا أن هذه المحاولات أهملت البحث في الدور الإنساني للنقابة والمرتبط أكثر بالحياة الاجتماعية للعمال، ويذهب أيضا إلى الإشارة في نفس السياق أن المهمة الأساسية للنقابات في البلدان الغربية هي التفاوض الجماعي حيث تتجه لمناقشة مسألة الأجور، وشروط العمل والمسائل والمشاكل المرتبطة بذلك، مع أن الحركات العمالية في كل البلدان لم تعد بعد ولم تتعرف على الطابع السياسي الذي يميز مهمتها بحيث أنه على سبيل المثال مناقشة الأجور يؤدي إلى إعادة النظر في القانون الخاص به ومن ثم إعادة إصدار قوانين جديدة بشأنها وأيضا الأمر بالنسبة لشروط العمل حيث يشكل التفاوض فيها استخلاص قوانين تخدم العمال بالدرجة الأولى وبالتالي وبطريقة غير مباشرة تكتسي النقابات

¹ أ.د. علي غربي، مرجع سابق، ص 141، 140

الطابع السياسي في هذا التفاوض خاصة عندما يتعلق الأمر بالضغط وإجبار أصحاب الشأن على إحداث التغيير على بعض المستويات وهو شكل إذن من أشكال الطابع السياسي الذي تتمتع به النقابات فنظام إلغاء الأجر ونشاطات الاجتماعات العمالية لمناقشة ذلك واستخدام الإضراب والمشاركة مع نظام أرباب العمل هو أيضا وجه للطابع السياسي لها.

كما يعتبر إنشاء تشريع نقابي يصوت عليه في الجمعيات الممثلة للعاملين ويفرض هذا الإجراء كقانون على أرباب العمل، ولقد سعى بعض المفكرون عن طريق مناقشة وضع النقابات على هذا المستوى إلى إنشاء نظريات الفعل المباشر التي تتضمن الفصل التام لعالم العامل ورفض الاعتراف بالشريك ب العمل وأيضا الأسبقية في المبادرة إلى العاملين¹، إلا أن الهدف لم يكن نفسه بالنسبة للمفكرين الذين صاغوا هذه النظرية وبالنسبة للنقابيين الحرفيين الذين كان هدفهم فرض القوانين المهنية على أرباب العمل والبعض الآخر كان يفكر في الإعداد للثورة من أجل العمال يأخذون بيدهم مصيرهم وحقوقهم الخاصة.

وسعى فريق آخر من النقابيين إلى تحسين المعايير المهنية ولكن يشرك الكل في الرغبة في الانفصال عن أرباب العمل والمال، لأن الاستقلالية من شأنها أن تعزز كيانهم في الوسط المهني وتجعل منهم قوة كبيرة ولأن أرباب العمل ما يهمهم في كل هذا هو الإنتاج وما يقدمه العامل لاستمرارية المنظمة في تحقيق أهدافها دون مراعاة طموحات العمال.

إن الاستياء في البلدان التي يتواجد فيها الحركة النقابية الثابتة وذلك بتزايد المعارضة للزعماء النقابيين أينما يلجأ الزعماء إلى الاستقلالية وترك العمل في التنظيم النقابي في البلدان التي يتواجد فيها نقابات ضعيفة وغير مستقرة.

ولقد نقشت النظرة الوظيفية فكرة المفاوضات مع أرباب العمل وفكرة العمال والسلطات العامة والمجتمع بشكل يجعلها تتفرد في التحليل بما يميزها.

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، رسالة في سوسولوجيا العمل، ج2، ترجمة: دجسي حيدر، مرجع سابق، ص 229.

أ- المفاوضات مع أرباب العمل:

تعتبر مسألة التفاوض للنقابات مع أرباب العمل المحور المركزي لنشاطها وقد تتخذ غالبا الإضراب كما تتطلبه المفاوضات ولذلك تسعى النقابات جاهدة لتقوية النقابة وتوحيدها وعلى هذا الأساس يطلق الحكم على الزعماء للتنظيمات النقابية ومدى تحكم هؤلاء في الآليات التي تنظم النقابات خاصة فيما يتعلق بالقيادة والقرارات الهامة، هنا يتجه نشاطها على الأخص في الضغوط التي تمارسها لتحسن ظروف العمل وإيجاد بيئة عمل مشبعة من الناحية الإنسانية وإتاحة الفرص لتقدم الفرد وترقيته¹، إذن يمكن القول أن نقابات العمال عرفت تطورا ونموا بعد الحرب العالمية الثانية خاصة في بريطانيا والولايات المتحدة.

هناك إذن عوامل مختلفة تحدد مجرى المفاوضات وحسب أيضا طبيعة النقابة من حيث الموحدة أو المتعددة وتكون الحلول الناجمة عن ذلك مختلفة تماما سواء في نموذج التنظيم النقابي الأكثر انتشارا في الولايات المتحدة أين تضم جميع العمال النقابيين في مشروع معين ويفاوت وحدة مع رب العمل والنموذج الأنجليزي الذي يضم في تكوينه ممثلين عن (20) أو (30) نقابة مهنية أو صناعية بحسب طبيعة ونشاط المنظمة المتواجدة فيها العاملين. وأيضا تتميز بوجود أعضاء داخل المشروع وأيضا يتحدد بطبيعة المشروعات الخاصة أو الصناعات المملوكة ملكية عامة بمعنى تسير نحو مشاركة العمال في الإدارة العامة²، لكن تنضم في الأخير إلى هيئة مركزية. أما النموذج الفرنسي الحديث والحالي حيث يظهر مبدأ مشاركة العمال عبر مندوبون من تنظيمين أو ثلاثة في المشروع الواحد.

فبالنسبة لمسألة التفاوض تكتسي الاتفاقيات ودورية المفاوضات أهمية كبيرة بحسب البلدان حيث أن في الولايات المتحدة يؤثر تجدد العقد عن عدمه على ضبط نشاط النقابيين في اتجاه التقليل من المشاركة ومن إمكانياتهم في التفاوض ويسير إذن التفاوض في الحالات العادية لتصلح جميع العاملين في المشروع أو المشاريع سواء كان العمال نقابيين

¹ بوتومور، مرجع سابق، ص 213.

² نفس المرجع، ص 214.

أو غير نقابيين على الرغم من أن العقود تطال النقابيين فقط، ففي فرنسا إذن الاتفاق لنتائج التفاوض تكون على جميع المشروعات ولجميع الإجراء في الفرع المهني الواحد¹.

يضيف ميشال كروزية في هذا العرض والتحليل حسب ما فسرت وفقه النظرة الوظيفية للتعاون مع أرباب العمل فإن المفاوضة وما تتعرض له تختلف حسب البلدان والفروع المهنية وحتى أيضا حسب المشروعات وذلك مرده إلى عاملين أساسيين وهما:

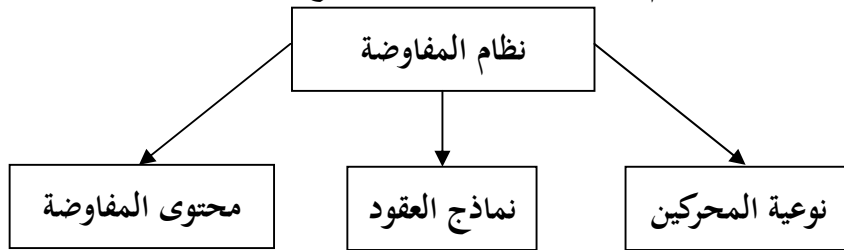
- الأول يتعلق بإلحاح أرباب العمل وأصحاب المؤسسات على إبقاء الامتيازات التي تتمتع بها الإدارة خارج إطار المناقشات والمفاوضات.

- الأمر الثاني يتمثل في تدخل السلطات العامة بمعنى توسيع القضايا الاجتماعية التي يستطيع أن يسويها التشريع.

ففي ألمانيا حق المشاركة في الإدارة تسمح للنقابات التدخل حتى في السياسة العامة²، إلا أن في الحالات التي يتدخل فيها المشرع فإن هذا من شأنه أن يقلل مجال المفاوضات ومن نشاط المفاوضين، لذلك يظهر في فرنسا وبسبب المعارضة والمقاومة لأرباب العمل وتدخل الدولة فإن المعارضة الجماعية لا تعطي سوى الحد الأدنى.

حيث يتأكد وبشكل قوي الحصار الذي تتلقاه النقابات في مجال نشاطها ومن ثم يمكن الحكم على هذه النقابات أنها ضعيفة ولا تحمل صفة التمثيل الجيد.

الشكل رقم 04: يمثل المفاوضة مع أرباب العمل



المصدر: تصميم الأستاذة مفتاح نادية

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، رسالة في سوسولوجيا العمل، ج2، ترجمة: دجسي حيدر، مرجع سابق، ص 231.

² المرجع نفسه، ص 232.

يتبين من خلال هذا الشكل على أن هذا الهيكل الخاصة بالمفاوضة للنقابات مع أرباب العمل هو الإطار العام الذي يمثل المفاوضة الجماعية والمظهر الاجتماعي الذي يتبين منه الذي تحويه حتى تكون موضوع للمفاوضة ولذا لا بد من دراسته بمنظار علمي سوسيولوجي وذلك وفق ما نتطلبه دراسة الأنساق الرئيسية خاصة في المستوى الأعلى الثاني الذي يمثل أنساق الفعل كما أشار إليه بارسونز¹ حسب مستلزمات وظيفية يمكن الوقوف فيها عند المستلزم الخاص بتحقيق الهدف بما يملكه من أدوات يحرك بها مصادره ليصل إلى درجة لإشباع من حيث المطالب التي تسعى منه وراءها هذه النقابات في الوسط المهني ومع تحديدا أرباب العمل.

ويشير أيضا ميشال كروزيه إلى أن الدراسات الأمريكية قد استفادت منهجيا من نظام المفاوضات التي كانت قليلة الانتشار حتى عام 1916 والتي توسعت وانتشرت فيما بعد حتى أصبحت الإيديولوجية الأساسية للبلد وكان اعتبار النتائج الإنسانية في اتجاه محصور في اندماج مندوبي العمال في العالم الرأسمالي وجرى التقليل من أهمية الفعل الغير المباشر للتنظيمات النقابية والهدف من وراء هذا هو محاولة إزالة السلطة المطلقة على التنظيم الإنساني لمشروعاتهم وأجبرتهم على الأخذ بالشريك الشخصي ولذلك جاء الحركة العامة للأعمال الأمريكية الكبرى في مجال العلاقات الإنسانية إلا في هذا السياق وهو أمر يعتبر محاولة لإيجاد سلاح للانتصار على الحركة العمالية.

ب- العمال أمام السلطات العامة والمجتمع: يتبين الاتحادات والمنظمات النقابية في معظم الأحوال هدفا أساسيا يتمثل في التمثيل العام للعمال وازدادت أهمية هذا الهدف منذ أكثر من 20 سنة خاصة في البلدان الغربية ويتطلب الأمر من الممثلين في هذه الحالة شرح وجهة نظرهم أمام هيئات استشارية لها تأثير في بعض الأحيان وفي نفس الوقت يتطلب منهم الأمر أن يكونوا جماعة ضاغطة لدى المجالس التمثيلية وحتى الإدارية ولكذا يكرس

¹ إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة د.محمد حسين علوم، مراجعة: د.محمد عصفور، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص 73.

هؤلاء الممثلون جهدا أكبر لدى الهيئات المركزية للنشاط من هذا النوع والتي ينحل في سياق التمثيل العمالي.

ويرتبط الأمر هنا على قوة هذه التنظيمات ومدى تأثيرها من حيث قوة التأثير في الحياة الاقتصادية وهذا الأمر يفتح المجال الواسع لإجراء البحوث من أجل تفسير المستويات التي تتمتع بها النقابات في مجال التأثير لدى السلطات العامة أو حتى لدى المجتمع وهذا طبقا بالمقارنة بين الحركات العمالية المختلفة التي تظهر قوتها ونشاطها وتأثيرها حيث المحددات التي تأسست وفقها ووفق أيضا حضورها في المؤسسات الاقتصادية.

2- الحركة العمالية كعامل للتغيير:

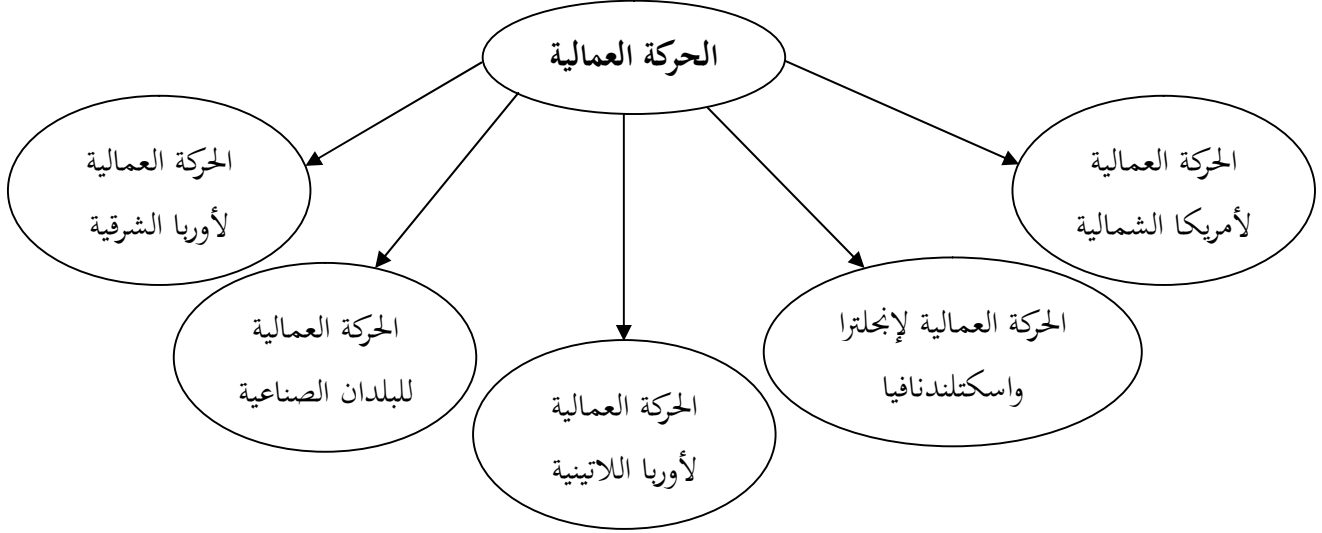
لقد ناقش ميشال كروزيه هذه الفكرة من زاوية أن هذه الحركة ليست فقط نتاجا للمجتمع والتغيرات التي حدثت فيه في فترة تاريخية ما، ونتيجة ظروف اقتصادية واجتماعية مميزة فقط وإنما كمعطى جديد وقوة فعالة بدورها في المجتمع فهي حركة أقل ما يمكن قوله فيما أنها محركا لبعض الأحداث وأيضا تحمل في ثناياها هامشا حرية إبداعية ولكن عند ما نحاول الحديث عنها بشكل دقيق نجد أنها تحمل فروقا كبيرة كلما انتقلنا من المجتمعات الصناعية إلى المجتمعات النامية، من حيث القوى الأساسية التي أدت إلى ظهورها في كلا النموذجين من المجتمعات وحتى في البلدان الغربية ذاتها تظهر فروقا في الحركات النقابية والعمالية التي تأسست فيها خاصة بالنسبة لطبيعة التكيف مع النظام الاجتماعي لهذه البلدان ومن ثم يظهر الاختلاف في الدور والقدرة على التأثير.¹

هكذا ما يؤكد تأثير المعايير التي تميز المجتمعات تأثيرا متفاوتا في طبيعة نشاطها والآليات التي تستخدمها لأحداث التغيير لأن البنى الاجتماعية تأخذ أشكالا مختلفة سواء من المجتمعات الرأسمالية والصناعية أو المجتمعات الاشتراكية والمجتمعات النامية، وذلك حسب

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، رسالة في سوسيولوجيا العمل، ج2، ترجمة: دجسي حيدر، مرجع سابق، ص 238.

الصفات التاريخية والسياسية والاقتصادية لكل بلد¹ لأن البلدان أخذت تميل نحو التمايز وفق عوامل سياسية وقانونية.

الشكل رقم 05: يمثل نماذج الحركة العمالية



المصدر: تصميم الأستاذة مفتاح نادية

طبعا هذا الاختلاف يحدد مدى عمق أو هشاشة هذه الحركات ومدى الدرجة التي يمكن بموجبها أن نتعايش مع الأهداف التي تسعى وراء تحقيقها.

إلا أن ميشال كروزيه يرى أن النقابات في الولايات المتحدة تندمج بعمق في الحياة الاجتماعية وذلك في النظام السياسي والمشروعات بمعنى أنها تندمج في كل الأعمال والأنشطة الموجودة في المجتمع.

وهي بذلك تشكل قوة معترف بها في كل القطاعات على الرغم من الانتقادات التي توجه لها وحتى في بعض الأحيان توجه لها الاتهامات، كما يشير قانون TAFT-MARTLEY حول العلاقات الصناعية أن هذه الأخيرة قد تجاوزت الزمن والمرحلة التي كانت تصارع فيها من أجل فرض إقرار وباندماجها في التنظيم الاجتماعي فيها أيضا لها دورا

¹ بيار لاروك، الطبقات الاجتماعية، ترجمة: جوزيف عبود كبه، دار منشورات عويدات، بيروت، 1982، ص 21.

تكاملية اتجاه العمال وتحاول أن تؤمن مشاركتها في جميع المؤسسات السياسية والاجتماعية، كما تتاضل أيضا من أجل تحسين العمل الاجتماعي السلمي، إلا أن صعوبة المشاركة داخل النقابات يجعل فرض التعبير والنمو ينحصر في فئة قليلة من المناضلين وبهذا النشاط أصبحت النقابات راسخة أكثر في حياة المشروعات وهي الآن تعالج قضايا أخرى مثل الاستياء كما أشار إليه Daniel Bell.¹

هذا ما يوضح في حقيقة الأمر أن العمل الجماعي للعمال لم يكن إلا عن طريق التنظيم هذا الذي ترجم نموها كطبقة تاريخية وهذا ما أدى إلى تثبيت قوتها وكرامتها في إطار يتضمن تطور المنظمات العمالية على الرغم من أن الأدوات الرئيسية لهذا العمل العمالي والمتجلى في النقابة فإن خارج إطار الطبقة في حد ذاتها ولكن روابطها هي التي أدت إلى تواجدها بشكل فعال في المنظمات الصناعية لأنها كانت دوما تسعى للدفاع عن المصالح المادية للعمال وأيضا السعي بشكل متواصل ومستمر لتحسين أوضاع العمل وأكثر من ذلك محاولة تدعيم مركز هذه الطبقة في المجتمع، كما تسعى النقابات العمالية في مسارها النضالي المساعدة لإيجاد الحلول وتسوية الصراعات التي تحدث داخل المؤسسات وسط الجماعة العمالية التي تعد حلها بطرق أخرى.

إلا أنه على مستوى التحليل السوسيولوجي فإن التكامل بين الصناعة والنقابات العمالية لا يؤلف إلا وجها سلبيا في مهمة الحركة العمالية لأن الحركة العمالية في واقعها الملموس هي مصدر للتوازن وعاملا لتطور هذا الأخير.

إن التجربة النضالية للحركة العمالية في الولايات المتحدة يظهر فعل ودورها بطريقتين سواء بما يسمى بنقابية الأعمال ونقابية السوق كأسلوب لتنظيم الضغط الاجتماعي، وهي أساليب تلجأ إليها هذه النقابات من أجل إحداث التغيير ولقد تفوقت نقابة الأعمال لفترة طويلة، حيث كانت تبذل جهودا في إطار التحالفات بين بائعي قوة العمل للحصول على

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، رسالة في سوسيولوجيا العمل، ج2، ترجمة: دجسي حيدر، مرجع سابق، ص 239.

أفضل سعر في السوق ومع ذلك لم تستطيع هذه النقابية العيش إلا في ظل تضامن معين لأعضائها وإيديولوجية اقتصادية ومع ذلك أيضا استطاعت أن تتجح في تغيير توزيع الدخل الوطني لصالح الأجراء كما سارعت في تمركز المشروعات وتثبيت الفروع الصناعية الأكثر تزاخما وأعطى ضمانا اقتصاديا غير مباشر للعامل لجعل تمرزه ممكنا.

وفي السنوات الأولى لمؤتمر التنظيمات الصناعية ظهرت النقابية الأمريكية كحركة اجتماعية وسجلت نجاحا كبيرا بعد بضعة أشهر من الانفجار الثوري، ولكن سرعان ما أخذت نقابية السوق المكان الأول على ما يبدو في الظاهر في اتحادات مؤتمر التنظيمات الصناعية، بذلك تطورت الأشكال الأولى للديمقراطية العمالية التي ظلت غامضة في سنوات (1935-1937) وهي مازالت تتطور وذلك عن طريق إدخال بعض العناصر في مطالبها مثل الأقدمية-الترقية-العطل والضمان الاجتماعي، التي تعتبر جديدة عن الأهداف الاقتصادية التقليدية وكانت العلاقات الإنسانية عاملا من عوامل التحول والذي أثار رد فعل أرباب العمل هكذا كان التطور التاريخي للنقابية العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية هذا البلد الذي تحكمه قيم اجتماعية وثقافية مميزة بفعل الأجناس السكانية التي تعيش هناك وبذلك يمكن اعتبار التغيير الذي تحدث عنه ميشال كروزيه هنا على أنه تغير تدريجي وتغيير هادفا لأن النقابية العمالية وحتى النقابية السوق فإن اتخذت من الصراع صراعا اجتماعيا يستجيب لأهداف الأفراد المنتمين إليها.

أما بالنسبة للنقابية في أوروبا فإنه يرى أن بالنسبة لأوروبا الشمالية واسكندنافيا وبريطانيا يظهر فيها عدد معين من السمات المتشابهة للتي تم الإشارة إليها في الولايات المتحدة بحيث أنها متكاملة وتلعب دورا متكاملا وموحدا وهي ليست كذلك أي تكامل تام على المستوى الاقتصادي والتقني للإنتاج حيث أن هذا الأخير مازال منفصلا عن الجانب الاجتماعي

والسياسي حيث أن تستطيع إسماع صوتها عن طريق مراقبتها المباشرة أو غير المباشرة لجهاز الدولة¹.

وهذا يعني أنه يتم خارج إطار المصنع وذلك عن طريق الأحزاب السياسية العمالية لأن الأحزاب تدعمها وتمولها وتشرف عليها النقابات الأمر الذي يزيد من ضغطها السياسي وأسلوبها النقابي.

أما بالنسبة للبلدان اللاتينية كفرنسا وإيطاليا وحتى اسبانيا فإن الوساطة السياسية لها أهمية لكن لا تجد النقابية ارتياحا في القوى الاقتصادية ولا تستطيع بذلك القيام بالدور التكاملي كما هو واقع في الولايات المتحدة وفي إنجلترا وتبقى الهوة كبيرة بين النظام الاجتماعي القائم على علاقات إنسانية، التي لا تزال أرستقراطية وبين مطالب العمال التي غالبا ما تدخل في الإطار السياسي لكن يشكل متفق عليه أكثر مما هو عليه.

أما بالنسبة للنقابات في البلدان النامية فإنها لا تزال غامضة وللأسف الدراسات حولها لا حديث عنه وهي معرضة للانتقادات لأنها تمثل جماعات مستغلة وهي بذلك لا يمكن مقارنتها بسابقاتها تاريخيا ولا حتى جغرافيا وحتى النقابات السوفياتية فإنها بعيدة عن التشابه بالنماذج الغربية فيما تمثل جزء من الإطار العام وليست مندمجة مع المجتمع وذلك بفصل الرقابة التي تمارس عليها.

¹ جورج فريدمان، بيار نافيل، مرجع سابق، ص 241.

خلاصة:

من خلال العرض الذي قدمناه في المحور المتعلق بالحركة العمالية ومن خلال أيضا السوسيولوجيا النقابية عند ميشال كروزيه فإنه يمكن استخلاص أن النضال الطبقي في المجتمعات الإنسانية. بدأ في السنوات التي صاحبت الثورة الصناعية حيث أن رأس المال كان يوجه ضربة على العمال، إلا أن منظمات الطبقة العاملة في البدايات الأولى كانت بطيئة لاستجابتها لهجوم الرأس المال خاصة في الدول الغنية بمعنى التي وصلت إلى تقدم صناعي وتكنولوجي مرتفع فلوحظ المد والجزر في نضال النقابة العمالية في كل بلدان العالم. ومع ذلك كانت الحركة النقابية مثل الزلزال الذي داهم المؤسسات الصناعية والمنظمات حاول إبراز طرق النضال التي قادها العمال من أجل التغيير هذا الأخير الذي طال البني الاقتصادية، السياسية والاجتماعية.

ولقد اختلف نضال العمال في إطار النقابات العمالية باختلاف المجتمعات الإنسانية سواء البلدان الرأسمالية أو الاشتراكية أو حتى البلدان النامية، فإن اهتمام الدراسات في هذا الموضوع كان منصبا حول المسائل المحورية المتعلقة بالديمقراطية الصناعية، والعلاقات الاجتماعية، كما انصب العمل أيضا حول النقابات العمالية والعلاقات الصناعية، كما حاولت الدراسات في هذا المجال أيضا إبراز التجارب المتعلقة بمشاركة العمال في الإدارة، كما توجهت اهتمامات أخرى إلى مسألة التفاوض والتحكيم والصراع والقيادة في النقابات العمالية فهي كلها مواضيع ذات الصلة المباشرة بالنقابات في العالم والتي عرفت مسارا نضاليا طويلا حاول أن يستمد قوته من العاملين.

حاول إذن ميشال كروزيه تسليط الضوء على النقابات وتجاربيها في مجتمعات مختلفة حيث وضح وبشكل واسع طبيعة النضال للنقابات العمالية في الولايات المتحدة وفي فرنسا، بريطانيا وحتى البلدان النامية وأيضا قدم التفسيرات لطبيعة العلاقة بينهما وبين أرباب العمل والسلطة.

في الحقيقة فإن تحليله كان نموذجيا إلى حد ما أبرز من خلالها إستراتيجية النقابات العمالية وفي المقابل إستراتيجية أرباب العمل والتغيرات التي أحدثها نشاط النقابات من حيث تنظيم العمل وأبرزت ممارسات التفاوضية النقابية وذلك عن طريق بحوث أجراها في أمريكا سنة 1947م وأيضا من خلال كتاب نقابات وعمال أمريكا نشره عام 1957م.

خاتمة عامة:

مما تم عرضه في المحاور السابقة ومن خلال معالجة أكبر المختصين في علم الاجتماع التنظيم كجورج فريدمان وميشال كروزيه فإن وحدة مدخل للعمل وحدة يمكن من خلالها مناقشة أهم المسائل المتعلقة بالعمل داخل المنظمة وما هي القوى الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية التي تحركه والمسار التاريخي الذي تطوره في ظلّه.

يظهر إذن في المساعي المنهجية أن العمل كظاهرة للتحليل يمكن اعتباره وحدة للتحليل السوسيولوجي ولكل هناك عناصر أخرى مرتبطة به ارتباطا وثيقا على اعتبار أنه بمقدار ما يعمل الأفراد بمقدار ما يصبح سلوكهم حتميا بشكل يرتبط بالسلوك ثم الآلات ونسبة العمل المنجز وبالتالي تخضع هذه الأخيرة إلى خطوات منهجية بحث علمية حتى يمكن الوصول إلى نموذج للتحليل يكتسب نسبة عالية من الدقة العلمية وحتى أيضا يصل البحث العلمي في هذا المجال إلى احتواء ظاهرة العمل وما يتصل بها وفق دراسة واقعية كاملة.

كما توصلنا من خلال هذا العرض إلى أن سوسيولوجيا العمل كاختصاص يتوجه لدراسة ظاهرة العمل أنها تحتاج إلى اختصاص أخرى قريبة جدا لها من حيث الموضوع الذي تعالجه فعلم السلالة وعلم الجغرافية وعلم الاقتصاد والديمغرافية اختصاصات وثيقة الاتصال بالعمل على اعتبار أن الفرد هو القائم المشترك في نشاطه ومعاشه وتحركاته واستشاره في المجال أيضا.

فدراسة المجتمعات التقليدية تقدم لنا أهمية الدين والتقليد في نشاط العمل أي العمل والمرحلة التاريخية التي يواكبها وأيضا طبيعة العمل الجماعي الذي انتشر في مرحلة تاريخية سابقة ثم توجه الآن نحو التخصص. كما أن الجغرافية تقدم لنا تصنيف معين لنشاطات

العمل من الزراعي إلى الصناعي وإلى ممارسة التجارة ونشاطات أخرى مكملة تخضع خضوعا تاما للمعطيات الجغرافية البحتة.

وهذا أيضا ما يفسر تطور العمل من العمل الحرفي التقليدي إلى العمل التقني ومن ثم يفرض هذا أيضا نوعا معينا من البنيات الاجتماعية والاقتصادية. ويهتم أيضا علم السلالة بالمواقف الإنتاجية وحوافزها وذلك من زاوية الاتصالات الثقافية، وأيضا يشكل علم الاقتصاد متصلا آخر مع سوسولوجيا العمل حيث ساهمت أعمال آدم سميث بقسط لا يستهان به في مجال التنظير لهذه العلاقة حيث اكتسب مفهوم العمل معه ومع ماركس وريكاردو مكانة قوية وأصبح مفهوما محوريا من مفاهيم المجتمع لأن علاقات الإنتاج هي أساس المجتمعات وهي محركة للتاريخ البشري.

لهذا فإن ظاهرة العمل عند دراستها نحتاج إلى كل هذه التخصصات المذكورة حتى يمكن احتواء الظواهر المتعلقة بالعمل وبالمنظمات.

إن التطورات التي حصلت في المؤسسات الصناعية أدت إلى تطور العمل وتشريعته وقوانينه وجعلت من العمل قوة بفضل الاتحادات النقابية التي كانوا ينشطون بموجبها.

قائمة المراجع

قائمة المراجع:

1- المراجع باللغة العربية:

- 1- أ. بلقاسم بوقرة، من الاستبداد الشرقي إلى النظام العالمي الجديد، التاريخ الاجتماعي للجزائر تحت المجهر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004.
- 2- أ. د. علي غربي، علم الاجتماع والثنائيات النظرية (التقليدية-المحدثة)، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، Socoret، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007.
- 3- أ. د. إبراهيم عيسى عثمان، مقدمة في علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، الأردن، 2008.
- 4- آدموند ولسون، تاريخ الفكر الاشتراكي المعاصر، ترجمة: يونس شاهين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1973.
- 5- إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة د. محمد حسين علوم، مراجعة: د. محمد عصفور، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978.
- 6- بوتمر، تمهيد في علم الاجتماع، ترجمة: د. محمد الجوهري، د. علياء شكري، د. محمد علي محمد، د. السيد محمد الحسن، دار المعارف، ط5، 1982.
- 7- بيار لاروك، الطبقات الاجتماعية، ترجمة: جوزيف عبود كبه، دار منشورات عويدات، بيروت، 1982.
- 8- جورج فريدمان، بيار نافيل، رسالة في سوسيولوجيا العمل، ترجمة: د. حسين حيدر، ط1، ج2، منشورات عويدات، بيروت، 1985.
- 9- جورج فريدمان، بيار نافيل، رسالة في سوسيولوجيا العمل، ترجمة: يولاند عمانويئل، ط1، ج1، منشورات عويدات-بيروت، 1985.
- 10- جيلبير سنة 1948
- 11- د. نساء فؤاد عبد الله، الدولة والقوى الاجتماعية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية.
- 12- ر. بودون و ف. بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة د. سليم حداد، ط1، 1986.

13- رشيد زرواتي، تدريبات على منهجية البحث في العلوم الاجتماعية، ط4، دار زعلوش، 2012.

14- ريمون كفي، لوك فان كمبتهود، دليل الباحث في العلوم الاجتماعية. تعريب: د. يوسف الجباعي، مكتبة الأسد، دمشق، د.ت.

15- صلاح مصطفى الفوال، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، مكتبة غريب، د.ت، القاهرة.

16- عبد الباسط عبد المعطي، عادل الهواري، النظرية المعاصرة لعلم الاجتماع، دار المعرفة، الجامعة الاسكندرية، 1986.

17- فيفري سنة 1922 (رسالة)

18- كارل ماركس، كتاب الرأسمال، منشورات كوست، الجزء الأول.

19- كارل ماكس، بؤس الفلسفة-الفصل الثاني، ما وراثيا الاقتصاد السياسي، باريس، ف- جيارد وبريار، 1908.

20- ماكسيميليان سور، أسس الجغرافيا البشرية، باريس، أ.كولان، سنة 1943-1948- 1950-1952.

21- محمد سامي عبد الحميد، الجماعة الدولية، دراسة للمجتمع الدولي منشأة المعارف، الاسكندرية، 2004.

22- محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي، المفاهيم، المناهج، الاقتربات، الأدوات، القاهرة، بيت الحكمة.

2-المراجع باللغة الفرنسية:

23- Balandier (G), sociologie actuelle de l'AFRIQUE noire, P.U.F, paris.

24- Claude Dubar, la socialisation, édition armon colin, paris, 2000.

25- Dahrendorf Ralph, class and class conflict in industrial society, stanford university, press, 1959.

26- Fromont (P), démographie économique, paris; 1947.

27- George (P), géographie de la consommation, paris, puf.

28- George (P), la démographie, une science humaine appliquée puplucation, 14 puf.

- 29- Girard (A): Démographie social, voir BG, 1958.
- 30- Josef benoit, confessions d'un prolétaire, présentation: maurice moissonnier, edition social, paris, 1968.
- 31- Ogbern william, social change, new york, husslug, 1950.
- 32- Rymond Barre, economie Politique, tome second, presses universitaire de France, 1965.
- 33- Rymond, quivy, luc van campenhoudt, manuel de veclierche en science sociales, dunod, 2eme edition, paris, 1995, page 07.
- 34- Sellier (F), Salaires et sécurité sociale en pologne in: le régime et les institutions de la république populaire de pologne, institude sociologie solvoy, bruxelle, 1959.
- 35- Thomas gay, l'indispensable de la sociologie, groupe studyrama, vocatis, imprimerie de France, 3^{eme} trimestre 2010.